علي محمد اليوسف

العقلانية
في الفكر المعاصر

ماجد الغرباوي «مجدداً»



العَقْلانيَّـة
فـي الفكـر المعاصـر
ماجد الغرباوي مُجدِّداً

عنوان الكتـــاب: **العقلانيّة في الفكر المعاصر - ماجد الغرباوي مجدّداً**

اسـم المؤلــف: **علي محمد اليوسف**

المـوضـــــوع: **دراسات فكرية**

عدد الصفحات: **136 ص**

القيــــــاس: **14.5 × 21.5 سم**

الطبعـة الأولى: **200 / كانون الثاني 2024 م - 1445 هـ**

رقم الإصدار	دراسات فكرية
1349	**83**

ISBN: 978-9933-38-583-5



سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: **+963 11 2314511**

هاتـــف: **+963 11 2326985**

الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

- المنطقة الحرة - مدينة الإعلام للنشر

هاتـــف: **+971 506844076**

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org

web: www.ninawa.org

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

@House Ninawa



Ninawa house

ninawa_publishing_house

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والتحرير والتحقيق والإخراج والطباعة – القسم الفني:

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

الأستاذ الباحث
علي محمد اليوسف

العَقّلانيّة

في الفكر المعاصر

ماجد الغرباوي مُجدِّداً

المحتويات

المقدمة

طيلة سنين طويلة مضت كنت أنشر مقالاتي على موقع صحيفة المثقف الغرَّاء، التي يرأسها ويديرها، بوصفها مؤسسةً ثقافيّة، المفكر الإسلامي الكبير ماجد الغرباوي. كنت أنشر مقالةً أو أكثر كلَّ أسبوع، تتوزعها شؤون ثقافية، سياسة، أدب، نقد، شعر. وفي عام ٢٠٠٤ اتجهت نحو الفلسفة وطرحت للنشر على نطاق محدود بالموصل أربعة مؤلفات كان من بينها كتاب (الاغتراب)، الذي طبع ثلاث طبعات. الأولى صدرت عن دار الشؤون الثقافية العراقية ببغداد عام ٢٠١١، تلتها الطبعة الثانية عن دار الموسوعات العربية في بيروت ٢٠١٣، وصدرت الثالثة عن دار غيداء الأردنية عام ٢٠٢٢.

خلال هذه السنين كانت صحيفة المثقف ولا تزال تتصف بسمعة ثقافية محكمة. تستقطب أبرز الكتّاب والأدباء والمفكرين بالوطن العربي والناطقين بالعربية في بلاد المهجر. لها صدى كبير، وانتشار ثقافي واسع. وكان المفكر الغرباوي، رئيس التحرير، يتمتع بثقة عالية وثقافة موسوعية. وقد شدني إليه عندما أعلن عن فتح زاوية حوارية تفاعلية، أمام الكتّاب والقرّاء على السواء، لمقاربة قضايا تحديث المشروع العربي الإسلامي، وغيره من ضروب المعرفة والثقافة بشكل علني مباشر لا

مواربة فيه. فكان يجيب عن تلك الأسئلة بكل مقدرة فكرية ثقافية استيعابية معلوماتية واسعة، فيتفاعل مع طروحاته القرّاء، ويرد على تعليقاتهم بكفاءة عالية.

لم تهدف مبادرة الغرباوي عندما فتح باب النقاش حول أدق القضايا الفكرية والسياسية والثقافية عموما، إلى تكريس سمعته المعرفية، وبناء أمجاد ثقافية، بمقدار ما أراد الغرباوي فتح كافّة الأبواب والأشرعة بحرية، وتداول الآراء حول كل ما يشغل أذهان النخب الثقافية بموضوعية. ومعالجة الوعي الثقافي الجماهيري الضائع بين الكتب والمؤلفات التي دأبت على اجترار ماسبق بشفافية. ووضع القضايا الفكرية والعقدية، التي تقع ضمن اللامفكر فيهِ أو يمنع التفكير فيه على طاولة التشريح النقدي بلا تردد أو مواربة، سوى البحث عن الحقيقة. وبالفعل حاورته ضمن المحاورين حول قضايا عدة، منها: (شرعية الدول الدينية، إشكالية التراث والمعاصرة، العقلانية الشاملة وفقا لمنهجه، إشكالية الفكر التنويري في مجتمعاتنا)، وقد أجاب عنها مفصّلاً، ونُشرت ضمن الكتاب الأول من موسوعة متاهات الحقيقة، بعنوان: الهوية والفعل الحضاري، الذي صدر سنة ٢٠١٩م.

إن ما يميز الغرباوي أنه باحث موضوعي، لا يجامل في مقاربة قضايا الفكر والعقيدة. همُّه الحقيقة، لفضح التزوير والخداع، وفرز المقدس عن غيره، والإلهي عن البشري، والسماوي عن الأرضي. إنه

صاحب مشروع نهضوي عربي تجديدي متفرد. منهجه الفكري لا يدور حول أي إشكالية فكرية دينية فلسفية يتناولها، من خلال المتراكم الإنشائي النظري. بل يدخل معترك ما يؤمن به، بمسؤولية وتوازن. يُسمّي الأشياء بمسمياتها، التي تبدو لبعض القرّاء جريئة أكثر من اللازم. لكنه مفكر صاحب رسالة، جاء ليقول الحقيقة في زمنه ويبقى على غيره الحكم والإضافة بالتجديد إن أمكن.

إن ما يكتبه الغرباوي من جديد لا يكرر فيه ما سبقه، وسأتحدث عنه مفصلاً ضمن البحث. إنه مفكر مبدئي، ناقش آراء غيره من مثقفين مناقشة جادة، ومكاشفة صريحة، اعتمد فيها منهجا نقدياً، بشجاعة وجرأة والتزام. فثمة تراث مازلنا نتبناه بحاجة للنقد الموضوعي للكشف عن مدى صدقيته. إننا نعيش توهان الوعي الجماهيري بفعل تضليل كتابات تكتب من أجل الكتابة فقط، وتمارس النقد لأجل النقد، لا لأجل الحقيقة. فنحن بحاجة إلى منهجية موضوعية، هي ذات المنهجية التي تبناها الغرباوي في مقاربة القضايا الفكرية والعقدية، ونقده المتواصل للتراث. بعيداً عن الجدل العقيم، والمشاحنات اللاموضوعية، التي تورط بها بعض مفكري الوطن العربي، الذين صار همهم تخطئة الجميع، لإثبات صحة آرائه بلا منازع. بينما سؤال الحقيقة كان يدفع الغرباوي لتناول القضايا الفكرية والعقدية والتراثية تناولاً موضوعياً علنياً، بلا تردد. فكان يقصد من فتح نافذة الحوار، كما

ذكرت، إشراك القارئ فيه، ليكون مسؤولا عن متبنياته ويقينياته، الفكرية والعقدية. ويصل إلى الحقيقة بنفسه، ليتحرر من أسر التراث وسلطة الكتب التراثية. تلك الكتب التي تغذي التضليل الجماهيري، وقد فرضت علينا مقدسات زائفة، مصدرها فتاوى بعض رجال الدين وكتاباتهم ممن أقعدوا الأمة على بساط الحروب، التي لامعنى لها سوى الدمار والخراب والفقر، وتردي أداء وسائل مؤسسات الدولة العربية بما يرضي أصحاب السلطة والحكم.

هذا الكتاب

١- شدني الى الكتابة عن المفكر الغرباوي ومشروعه الفكري التنويري النهضوي، إعجابي بأسلوبه النقدي السهل الممتنع. فهو يكتب طروحاته لتحقيق هدفين متوازيين. الأول: تفنيد ما كُتب حول مشروع الحداثة العربية النقدي منذ بداية القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا. وهي إما اجترار تسطيحي لترسيخ الخرافات والشعوذات والدجل والتدليس. وإما فكر متعالٍ، هدفه استعراض العضلات. كتابات تمادت في جلد الذات حتى أوهنت إلى أبعد الحدود نفسية العربي المسلم. وكان الأولى بهم أن يتبنون مشروعا عملياً، يرقى بنا إلى مصاف دول حققت الحداثة في حياتها المطلوبة رغم أنها مرت بمراحل من التخلف والفقر وغيرها أضعاف ما عانيناه ونعانيه اليوم بوصفها أمةً عربية وإسلامية.

٢- عندما أخبرت الأستاذ ماجد الغرباوي قبل أكثر من سنتين رغبتي في تاليف كتاب عن مشروعه الحداثوي النهضوي. رحب بالفكرة وأرسل لي مجموعة من مؤلفاته تعينني في مهمتي. وبعد تصفحي لبعض مؤلفاته الفكرية وجدت نفسي أمام مفترق طريقين. لأني لا أريد أن أكون نساخا لفكره وليس باحثا تفسيرياً ناقداً لأفكاره وطروحاته، رغم ثرائه الفكري وعمق طروحاته.

الأول: الإعراض عن تأليف الكتاب، فهو صاحب مشروع متفرد وواسع وعميق. وقد لا أضيف لمنجزه الفكري ما يشكل إضافة جديرة. بعد أن استنفدت كتاباتي الفلسفية طاقتي في الكتابة والاهتمام بضروب ثقافية غير الفلسفة.

الثاني: أن أجمع مقالاتي التي سبق أن كتبتها عن منجزه الفكري، نشرت بعضها واحتفظت بقسم آخر منها، وإعادة تحريرها، مع إضافة ما استجَّد عندي من رؤى وأفكار حول المنجز الفكري للأستاذ ماجد الغرباوي، ونشرها بكتاب تحت عنوان: (العقلانية في الفكر المعاصر.. ماجد الغرباوي مجدداً). وهذا ما حصل. وأجد العنوان معبّرا عن أبعاد مشروعه التنويري.

إنه لشرف كبير أن يقترن اسمي باسم المفكر الجليل والقدوة الثقافي ماجد الغرباوي وأسال الله تعالى أن أكون موفقا في هذه المقدمة. وأن

يسجل الكتاب حضورا يسلط الضوء على المشروع النقدي العقلاني التنويري للأستاذ ماجد الغرباوي.

علي محمد اليوسف

الموصل / العراق

٢٠٢٤/٢/٢٠

الفصل الأول

الرؤية المنهجية
للمفكر ماجد الغرباوي

المفكر الإسلامي المجدد ماجد الغرباوي، شخصية فكرية عقلانية. ليس سهلا على الباحث الإلمام بمتاهات بحثه المثابر عن الحقيقة في مؤلف واحد هو كتابه (الهوية والفعل الحضاري)[1] من جملة مؤلفات ناهزت الثلاثين، اتسمت بالرصانة والدقة والجرأة في تناوله قضايا إشكالية فكرية وعقدية، في أخطر منحى فكري، هو نقد الخطاب الديني والعقدي والفقهي المملوء بالألغام. تراكم كرّس تغييب الوعي الإسلامي الجمعي السليم، الذي اكتسب صدقيته من مرجعية المقدس الديني الإلهي غير الوضعي (الوحي).

ليس جديدا الإقرار أن المفكر الحداثي الغرباوي صاحب مشروع نهضوي عربي - إسلامي يستمد حضوره من تقديم قراءة موضوعية جديدة، تنأى بنفسها عن المراكمة فوق ركام الخراب المعرفي ودوامة

---

١ - الغرباوي، ماجد، الهوية والفعل الحضاري، الكتاب الأول في موسوعة متاهات الحقيقة، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، ودار أمل الجديدة، دمشق سوريا، ٢٠١٩م، ٤١٦ صفحة.

التخلف واللامعقول، وأوهام الحقيقة ورهاب النص وقدسيته التي سادت منذ بدايات القرن التاسع عشر على أيدي رواد مشروع الحداثة العربية[١].

ماذا يعني هذا الطرح التمهيدي للمفكر الغرباوي؟

أولاً - لم يكتب الغرباوي في مشروعه الفريد، تفسيرات وهوامش وشروحات، كما هو السائد الطاغي لدى عدد كبير من المؤلفين. كتابات هي في أحسن الفروض لزيادة حجم الكم التراكمي الزائف، وتغييب الوعي الجمعي الديني السليم. فاتسمت كتاباته بالرصانة والموضوعية والدقة.

ثانياً - الغرباوي مفكر إصلاحي، فرض عليه مشروعه التجديدي، نوعين من التحديات. أولهما: تحدي وعي مجتمعي زائف متخلف يرفض بدوغمائية قاطعة، كل تفكير يعيش المعاصرة ويسمّى الأشياء بمسمياتها الحقيقية دون خوف ولا وجل. وثانيهما تحدي نوع من رجال الدين، رهنوا أفكارهم لإيديولوجيا السلطان الحاكم. أو إيديولوجيا أحزاب التطرف المذهبي والعنف السياسي الترهيبي، الذي اتخذ الدين وسيلة لتمرير كل ما يرفضه العقل والتحديث والمعاصرة والسلم والتعايش مع الآخر بالحياة.

---

١ - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - استراليا، ودار أمل الجديدة، دمشق سوريا، ٢٠١٨م، ص٩.

ثالثاً - الغرباوي يمتاز بتفكير منهجي جاد ومتزن خلال بحوثه ودراساته. وأيضاً عندما يتصدى بالنقد لقضايا تعتاش على عصمة المقدس الديني وهي بعيدة عنه. بمعنى يحاول طرح منهجيته في التفكير الإصلاحي الفكري الديني دونما الخروج على ما يمليه عليه إيمانه المطلق بقدسية الدين الإلهي. ودون التخلي عن قناعته بجدوى إحياء الدين بأصالته. أي الدين بنسخته القرآنية المشرقة، وليست النسخة التراثية المنحرفة المتخلفة، التي راكمت خرافات تغييب العقل المنفتح على الحياة، بعد طمس المعالم الإنسانية للدين. فهو يصرّح بتوظيف جميع مناهج العلوم الإنسانية الحديثة من أجل الوصول إلى الحقيقة[1]، ويضع العقل فوق النص[2] في مقارباته الفكرية والعقدية، مما يؤكد رصانة منهجيته وفرادته.

رابعاً - يسلك المفكر الغرباوي طريقاً وعرة، محفوفة بالمخاطر. لا يتهيب الممنوع عندما يتناول الخطاب الديني بمنهج مقارن مع النص القدسي الإلهي، على وفق رؤية عقلية حذرة من الوقوع في مطبات الاجترار

---

١ - أنظر مثلا مقدمة كتابيه الأخيرين، المقدس ورهان الأخلاق، ومقتضيات الحكمة في التشريع.

٢ - أنظر مقدمة كتاب: مقتضيات الحكمة في التشريع، ص١٠، حيث يقول صريحا: (إن كتاب (مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام) ينتمي لفهم جديد للدين ودور الإنسان في الحياة. يؤمن بنسق عقدي مغاير، يضع العقل فوق النص، فيصدق أنه مذهب في التشريع، ينهل من معطياة العلوم الحديثة والفتوحات المعرفية المتجددة. يقدّم الأخلاق على الأدلة الأولية.)

واللامعنى، كم يفعل الآخرون في كتاباتهم التي لا تغني ولا تسمن من جوع. وقد أثار منهجه النقدي الشديد حفيظة الاتجاهات التراثية، التي تخشى النقد والمراجعة، وتراهن على قدسية التراث. ويمكنك الرجوع مثلا إلى كتبه للتأكد من ذلك، سيما كتاب: مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في منحنيات الأسطرة واللامعقول الديني. وغيره.

خامساً - يحرص المفكر الغرباوي أن تكون رؤاه الفكرية التجديدية إضافات نوعية لم يسبق طرقها بمنتهى الجرأة والصرامة قوله (مالم تكن – يقصد الأفكار الدينية الإصلاحية – نقداً لمرجعيات الفكر الديني بمنهج عقلاني جريء) فلا حاجة لكتابة مؤلفات هي هوامش معادة ومكررة تبني حاضرها برؤية ماضيها، دونما تجديد يلتزم أصالة التديّن في ثوابته المقدسة القران والسنة النبوية.

سادساً - أهم ميزة في كتابات الغرباوي النقدية أنها لا تتقاطع مع ما يحمله من صدق ديني إيماني عميق، بوصفه مفكراً إسلامياً، يؤمن بما يكتبه من أفكار. سلوكه يتطابق مع معتقداته بعقلانية مميزة، ينأى بها عن المتراكم التراثي. فهو لا يتصنع الكتابة الفكرية عن الدين خارج معايشته النفسية والحياتية. بمعنى هو يعيش تطابق الضمير الأخلاقي الإيماني الديني مع جرأة تناوله إشكاليات قضايا فكرية دينية يتهرب الباحثون من مقاربتها، تحسبا من ثلاثة محاذير: الأول سلطة الحاكم المتنفذ الموغل بالضلالة باسم الدين. والمحذور الثاني سلطة الوصايا الدينية التي تقف ضد كل محاولات تجديد الفكر الديني. والثالث سلطة الممانعة والرفض

التي يحمل لواءها أصحاب المؤلفات الاجترارية التي تراكم التخلف المجتمعي. مهمتها تغييب الوعي الحداثي. واستبعاد فهم العيش الديني المتوازن مع مستجدات الحياة المعاصرة.

سابعاً - ميزة أخرى للغرباوي أنه يكتب ويفنّد آراء السابقين دون تسميتهم بالاسم. فهو يكتب لانتشال الوعي الجمعي من وهدة سقوطه المريع في ظل مساحة شاسعة من التضليل والتجهيل المقصودين، تدفعها مآرب شخصية أو طائفية، ومتاجرة سياسية باسم الحفاظ على الدين. دأب عليها عدد من الباحثين والمفكرين ممن تصدوا لمهمة إصلاح الفكر الديني.

ثامناً - يتسم المفكر الغرباوي بموسوعيته الفكرية النقدية. وإلمامه، بمختلف المناهج الفكرية والفلسفية التي تتوزعها مؤلفاته مثل: المنهج التحليلي، المنهج المقارن، الوصفي، التأمل الفلسفي، التأويل والهورمنطيقا، الحفر الإركيولوجي، إضافة إلى تقديم العقل على النقل خلال توثيق الأحاديث والروايات الدينية[١].

تاسعاً - الباحث الغرباوي الذي يجيد توظيف هذه المناهج وغيرها يكون جديرا بمعالجة الحاضر، ليس في ضوء ماض يتلبسه الجمود التراكمي الزائف، بل كما هو دائما في بحوثه، يحاكم القضايا المطروحة،

---

١ - أنظر مثلا، مقدمة كتابيه: المقدس ورهان الأخلاق، وكتاب: مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام.

سيما القضايا التراثية والعقدية منها خاصة، برؤية حداثية وأسلوب نقدي منهجي معاصر.

عاشراً - يرى ماجد الغرباوي في المنهج وسيلة وليس هدفا خلال معالجته الإشكاليات الدينية التي يتناولها. ويحرص بحكم، دائرة مشاغله وتخصصه الأكاديمي في الشريعة والعلوم الاسلامية، أن يكون له رأي اجتهادي في كل مسألة، خاصة القضايا الإشكالية، التي يتجنب بعض الباحثين الخوض في معتركها، خوفا من الاصطدام بالموروث الديني.

حادي عشر - بتعبير للمفكر الكبير محمد عابد الجابري: علينا الخلاص من معادلة امتلاك التراث لنا بدلا من امتلاكنا له نحن، بالنقد والمراجعة والمسؤولية التاريخية عنه. لسبب بسيط أن الذين كتبوا عن تراثنا هم بشر مثلنا لا يمتلكون عصمة، ولا قدسية لأفكارهم الفقهية الاجتهادية الدينية. وهو ما يمثّل للغرباوي منهجاً لا يحيد عنه رغم كل الحساسية والمضايقات التي يسببها له مثل هذا التوجه النقدي المنهجي لتنظيرات النص الديني بشقيها المتطرف سياسيا والسلفي دينيا.

الفصل الثاني

متاهات الحقيقة..
طموح بلا حدود

السؤال البدئي هو: لماذا يكون البحث عن الحقيقة متاهة[1]؟ الجواب يكشف عن حقائق عدَّة. إن الوصول للحقيقة يبدو صعبا ومحذورا حين يلج المفكر الإصلاحي التجديدي متراكما تاريخيا زائفا، استمد حقيقته وشرعيته التضليلية من تاريخه، عبر عصور طويلة من السِكوت على انحرافاته وخرافاته واكاذيبه. فبات يمثّل الحقيقة المقدسة، التي لا يطالها الشك المنهجي النقدي في مراحل تاريخية معاصرة. فهو صالح لكل زمان ولكل مكان.. إنها الهوامش التراكمية الثابتة التي ينأى الزمن بنفسه عن المساس بها. أما السؤال

١ – كما هو عنوان الموسوعة الفكرية – الفلسفية التي كتبها ماجد الغرباوي وأصدر منها لحد الآن تسعة كتب: الهوية والفعل الحضاري، مواربات النص، الفقيه والعقل التراثي، مضمرات العقل الفقهي، تحرير الوعي الديني، المرأة وآفاق النسوية، تراجيديا العقل التراثي، المقدس ورهان الأخلاق وأخيرا أصدر كتاب، وهو التاسع ضمن سلسلة متاهات الحقيقية، بعنوان: مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام.

المتفرع عن الأصل فهو المراوحة بين نشدان طموح التجديد في الانتقالات النوعية، وبين الاصطدام بكوابح الإعاقة والتحريم والتجريم على قول كلمة الحق في قدسيتها الالهية. هنا تكمن الخطورة. إنه يتعامل مع تراث، محاط بقداسة زائفة، لا تسمح بتناوله نقديا، ليقتصر الموقف على تفسيره وبيانه وشرحه والدفاع عنه دون مقاربته بأي شكل من الأشكال.

كيف نفهم تحقق الهوية؟

كيف نفهم الهوية وما علاقتها بالتراث؟ هل الهوية بصمة تاريخية نوعية تطبع أمة من الأمم بميزات تجعل منها، أي من الهوية، ركيزة أساسية تدور في فلكها كل المكتسبات الحضارية في ثباتها؟ أم الهوية التاريخية وليدة شرعية، تلدها الثقافة الحضارية لتلك الأمة وحدها دون غيرها؟ وهل يمكن للهوية تحديد ثباتها في عصر معيّن مزدهر دون عصور التردي والأفول؟. أسألة مهمة. فما هي الهوية: الهوية محصلة تاريخية، لأمة مرت بإخفاقات وتراجعات وكوابح إعاقة، وظروف صعبة، وخرجت منها بنجاح بما يشكل لها هوية خاصة تعتز بها.

إن هوية كل شعب هي تصنيع حضاري متغير. لا يساهم التاريخ المشترك، ولا اللغة، ولا المصير المشترك في تشكيلها. بل يستغرق بناء الهوية عصور وأزمان طويلة. لذا فهي تثري التاريخ

واللغة والمصير المشترك الواحد عندما تخلق هوية متجددة على الدوام يطلق عليها (حضارية).

أجد فهم التبادل التخارجي بين تغذية الهوية لإقامة ثقافة حضارية. أو بالعكس التغذية الثقافية الحضارية، هي المنتجة لهوية تماثلها في التطابق والمايزة النوعية. إلا أن وسائل تحقق مثل هذا الطموح ليس ميسوراً على أرض الواقع على صعيد التطبيق. ولاسيما عندما نفهم أن طبيعة الهوية التاريخية وطبيعة السيرورة الحضارية لا يتوازيان في قدرة التأثر والتأثير. إن كلاً من الهوية والثقافة الحضارية هما تصنيع ذاتي من قبل شعب أو أمة. أي أنهما ركيزتان غير ثابتتين، بل هما متغيرتان بمرور الزمن، فالهوية تراكم ثقافي - حضاري مكتسب، كلاهما يتبادلان التصنيع النوعي في التوازي المتقدم. فلا يمكن أن تتوفر لشعب هوية مميزة في موازاة تراجع ثقافي تمديني في مجمل حياة تلك الامة او ذلك الشعب. الهوية الخاصة لا نجدها بالموروث، بل نجدها بتصنيع المعاصرة المستقبلية التي تحتويها وتأتلف معها دوما.

الفصل الثالث

الغرباوي مفكر المبدأ

ماذا يمكننا القول عن إنسان كاتب مثقف مفكر هذه ميزاته كما يصفها هو بنفسه (أنا شخص مسكون بالأسئلة منذ طفولتي، أمارس النقد بأوسع أبوابه، لا أخشى الممنوع والمتستر عليه. أتوغل عميقا بالجزر المغلقة وأعدّ كل شيء أمامي قابلا للنقد والمراجعة. لا فرق عندي بين المقدس وغير المقدس، مادام التقديس ظاهرة بشرية كرسته سلطة رجال الدين والسياسة والدين منهم براء)[1].

أجد في هذا الاقتباس:

١. المفكر الغرباوي رجل كلمة والكلمة موقف، والموقف مبدأ الحياة.

٢. الغرباوي تسكنه الأسئلة منذ طفولته. والأسئلة دهشة تعليل كل ظاهرة بالحياة. الأسئلة مفتاح كل معرفة ينشدها الإنسان طيلة حياته. لا يعرف عمَّ يسأل ولا يتوقع أن يجد إجابة حقيقية في معرفة ما يسأل عنه. هو شخص مسكون بالأسئلة، يلاحق كل الظواهر المعرفية، لمعرفة حقيقتها والكشف عن مضمراتها.

---

١ - الغرباوي، ماجد، الهوية والفعل الحضاري مصدر سابق، ص ١٧ .

٣. التوغل بالجزر العميقة للنص الإسلامي، مهما كان طبيعة النص الديني، ومهما كان مقدساً، كما يصرّح، فهو يلاحق السؤال عن حقائق الأشياء. والسؤال لديه، ليس التوهان في مداخلة تضييع الوعي القصدي من الغوص في المتاهات التي تبحث عن الحقيقة خالصة ولا شيء غير الحقيقة.

٤.حين يقول المفكر الغرباوي لا فرق عندي بين المقدس وغير المقدس، إنما هو تفريق بمنهج التفكير في موضوع التفكير. بمعنى المقدس الإلهي لا يضيف المنهج عليه قدسيته، بل الغرباوي يبحث عن الوضعي الزائف الذي اكتسب صفة المقدس في مراكمة الانحراف، وتشويه المقدس بما يحجب عنه الوضاءة والانفتاح الذي يبهر البصر والبصيرة بحقيقته الإدراكية الإيمانية. إنه يغوص في متراكم زائف اكتسب قدسية زائفة بمراكمته الخرافات والانتحالات والأكاذيب وتشويهات وقائع التاريخ في سعيه للوصول إلى ما هو مقدس إلهي حُجبت حقائقه.

٥. الغرباوي يفهم جيدا، انطلاقاً من مرجعيته الايمانيه الدينية، بوصفهِ شخصاً ولد في كنف تربية دينية، ونشأ أكاديميا متخصصاً بالشريعة الإسلامية. يفهم الفرق الذي لا يحتاج إلى مقارنة بين المقدس الإلهي في نقائه النظيف غير القابل للدنس، وبين المقدس الزائف،الذي اكتسب تدنيسه من مراكمة الأكاذيب والخرافات فوقه، والتشويه العمد لغايات وامتيازات تريح الحاكم الفاسد، وتجني ثمن الإغداقات المالية لممارسته والعمل به.

الفرق بين المقدس والمدنس هو في تغييب الوعي والتضليل السياسي الحاكم الممنهج. وفي مصادرة الوعي السليم وصوابية التفكير الذي يكون بضاعة رجال الدين الذين يغلبون مرجعية تقديس الحاكم في تغييب مرجعية الإلهي المقدس. تغييب المقدس الإلهي لا يجري الا بوسيلة غسل الأدمغة بالترهيب والوعيد بجحيم النار المنتظر بالآخرة.

٦ .كما أفهم من الغرباوي أن قدسية ما دوّنه وما يدوّنه رجال الدين من انحرافات تمس بلا شك قدسية الدين، بالتعصب الأعمى والتشويهات التي أفرزت لنا ايديولوجيا الأحزاب السياسية الإرهابية التي ضربت نموذجها الهمجي في أقطار عربية دُمرت بالكامل. يقول: (ما دام التقديس ظاهرة بشرية، كرّسته سلطة رجل الدين والسياسية، والدين منه براء، وهذا القرآن ينتقد الأنبياء ويؤشر على أخطائهم، ويطرح اشكالات المشككين في أخطر قضية هي وجود الله تعالى)[1].

٧. الفرق بين رجل الدين المؤدلج سياسيا، والمفكر المتحرر من وصاية وقيود مفروضة عليه ويمتلك حرية التعبير. هو فرق تضليلي على صعيد أصالة الفكر بالضد من متراكم تزييفه.إما في وضع المقدس الالهي بمراتب الصون والحفظ، أو هيمنة تجذير التخلف في تغييب وعي عقل الإنسان المؤمن في التفكير بقيمة حياة الارض.

---

١ – المصدر نفسه، ص ١٧.

الفصل الرابع

المشاكسة البحثية..
الأصالة والتزييف

هل يكفي المفكر الباحث عن الحقيقة أن يكون مشاكسا ناجحا بمجرد خروجه عن سياقات المعهود؟ كي يستطيع تمرير كل مجهوداته البحثية من فوق ممانعة حواجز مرورها؟

من البديهيات ان المشاكسة بمفهومها العام بوصفِها سلوكاً، تجدها عند الباحث المسيس بإيديولوجيا فوضوية مقصودة في التنفيس عن مكبوت نفسي يجسده (التدمير الوحشي). أما لو سحبنا مفهوم المشاكسة على صعيد المثقف البالغ الذي يرغب في المشاكسة الفكرية بحثا عن الحقيقة، فهو بالتأكيد سيكون أحد هذين النموذجين:

- مشاكس مثقف فوضوي لا يمتلك منهجاً لتحقيق هدفه من المشاكسة. ولا يمتلك موضوعا إشكاليا يستحق المشاكسة، لأن محصلته الأخيرة ستكون صفرا بلا معنى ولا حصيلة معرفية. حتى لو كانت على صعيد إثبات الوجود الشخصي بوصفه مثقفاً.

- مشاكس مفكر يمتلك منهجا مشاكسا يتوفر على موضوع إشكالي يستحق الثورة المشاكسة عليه. ليس من أجل التعريف بنفسه

بل من أجل الوصول إلى حقيقة تفكيره المشاكس في الأصالة. فهو يمتلك مسوّغات موضوع استفزازه المشاكس، ويمتلك أيضا منهجا مرجعيته وعيٌ قصدي محكوم بالعقلانية غير الفوضوية.

بضوء ما مر بنا نطالع توصيف الغرباوي نفسه قائلا: (ومن يطالع منجز ماجد الغرباوي ستتضح صورة صاحب القلم: أبعاد شخصيته، طريقة تفكيره، هدفه النهائي... شخص طموح، مسكون بالأسئلة، يجيد رسم علامات الاستفهام، يبحث عن الحقيقة بلا هواده، يطاردها في كل مكان. «اتسمت بحوثة بالجرأة والعقلانية والمشاكسة»)[1].

المفكر الذي يمتلك جميع أدواته البحثية المنهجية، التي يقودها توظيف وعيه القصدي، يكون صاحب رسالة في فهم التديّن وبيانه أمام الناس. وليس مجرد قلم يدبج المقالات والمؤلفات لإشباع نهمه النرجسي، كما يفعل كثير جدا من المفكرين العرب والإسلاميين، الذين ابتلعتهم الغربة فكانت مجمل كتاباتهم من نوع السياحة الفكرية لبناء أمجاد زائفة، من خلال مناطحة مفكرين مثلهم، همهم إثبات جدارة التفوق على غيرهم من الخصوم. تاركين وراءهم وجوب الاهتمام بانتشال الوعي الجماهيري الذي يرزح تحت تلال من حجب تغييب الحقيقة، وفقدان بناء مراجعة نقدية مجتمعية، تفهم عن جدارة ماذا يعني المقدس الديني في أصالته. وعي جمعي قادر على أخذ زمام المبادأة في التفكير التديني السليم من

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٦.

رجال دين وكتاب وتوابعهم، تجارتهم هي إرضاء الحاكم أو الحزب على حساب تفقير الناس من وجدانهم الديني النظيف في سلوكهم التديني بالتلازم مع وعي ديني متنور هادف يصنع الحياة لا يكون فيها مسلوب الكرامة سهل الانقياد. ولا طريق لنا لمواجهة هذا اللون من التحديات سوى النقد الموجه والعقلانية: (فالعقلانية الشاملة تحقق لنا جميع الأهداف وأهمها انتشال وعي الفرد والعقل الجمعي، وتضمن لنا تحرير القرار السياسي من سلطة رجل الدين)[١].

الغرباوي والتجربة الحزبية

يرد على لسان المفكر الغرباوي في كتابه المشار إليه التقيت حزب الدعوة العراقي لأول مرة في سوريا نهاية عام ١٩٨٠ وانتظمت في صفوفه[٢]. لكن سرعان ما يترك الحزب في تلبية حاجة تلازمه هي كما يصفها (.. لأعكف على العمل العلمي الفكري انسجاما مع توجهي الثقافي وتطلعاتي المستقبلية الطامحة إلى التجديد والإصلاح)[٣]. ويضيف: (توجهي فكري - ثقافي، فليس لدي نشاط واضح خلال فترة إنتمائي لحزب الدعوة تنظيميا)[٤]. فهو صريح في انتمائه السياسي، لكن توجهه

---

١ - المصدر نفسه، ص ٩٠.

٢ - المصدر نفسه، ص ٢٦.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه.

الفكر فرض عليه الانسحاب من التنظيم، الذي لم يتفاعل مع اطروحاته. بل ربما لم يؤمن به، وكان انتماؤه لمعرفة الحقيقة من داخل التنظيم.

ظروف العمل السياسي بالعراق بعد انقلاب الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم على الحكم الملكي، كانت ظروفا معقدة، ملأى بالاحترابات الحزبية والمناكفات والانقلابات العسكرية المتوالية باسم الوطنية الأحادية، التي يمتلكها طرف واحد دون غيره. في هذا المناخ يولد الفتى العراقي حزبيا كمثل ولادته دينيا. أي لا يجد خيارا أمامه الا خيار دخول أحد أقرب الأحزاب أو التظيمات التي تحمل الصبغة الوطنية الأقرب إلى الطائفة أو القومية أو الطبقة الاجتماعية. لذا يكون صاحب الطموح والموهبة يجد نفسه مقيدا مسلوب الإرادة والحرية منقادا طائعا بغياب الممارسة النقدية أياً كانت.

ما أرغب توضيحه أن حال الأستاذ الغرباوي ليس استثنائيا عن غيره من شباب انضووا تحت مسميات أحزاب عراقية، كان آخر اهتماماتها الإخلاص للوطن وخدمة الشعب. لذا كان تبديد طاقات ومواهب وقدرات فكرية تضيع وسط مزاحمة حزبية سياسية، كانت تذيب طموحات الشباب المنتمين لكل الأحزاب السياسية العراقية في مصهر الانقياد لتعليمات الحزب الصارمة. ومن يشذ عن الطريق كان يلقى صنوفا من الإيذاء والمطاردة وقطع السبل أمام أن يكون كما هو طموحه مثقفا مستقلا يريد التفكير بحرية الاعتقاد ومنهجية التساؤل وراء ابتغاء التصحيح.

طبعا تبلور منهج النقد على صعيد الفرد لدى مفكرنا الغرباوي الذي يستقرئ مصير زج الدين ورجال الدين أنفسهم بالسياسة ليس على منحى تجربة حزب الدعوة بالعراق بعد ٢٠٠٣ والاحتلال الأمريكي للعراق وحذر من هذا الانحراف الخطير لكن بلا جدوى[١]. فلم يكن صاحب قرار سياسي مسموع وسط تزاحم كل ساسة العراق وراء شهوة النهب والسلب وسرقة المال العام، ما جعل غالبية الشعب العراقي تتضور جوعاً من الفقر والحاجة لأبسط مستلزمات الحياة.

كيف يكون المفكر المنهجي ناجحا؟

كل ادعاء تفكيري ثقافي نقدي يكون في محصلته ناجحا، وهذا يعتمد على إمكانية تحقيق مشروعه النقدي على أرض الواقع وميادين التطبيق في الحياة. ليس مهماً عند المفكر المتمكن من رؤيته النقدية أن يكون موضوع نقده نصا أدبيا أم نصا تدينيا مسيساً إيديولوجيا. المهم أن يكون ناجحا.

النقد المسؤول الذي يتحمل مشاقه الكبيرة هو صاحب الرسالة التاريخية بالحياة. وليس صاحب استعراض عضلات معرفية ضحلة

---

١ - لماجد الغرباوي أكثر من كتاب يدور حول العراق ومستقبله، ويحذر فيه من التدخل الاجنبي، والفساد، والانقياد لجهات خارجية بأية ذريعة كانت، ككتاب: رهانات السلطة في العراق، جدلية السياسة والوعي.. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق، الحركات الإسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي، والفصل الأول من كتاب: الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني.

يجامل بها هذا، ويسترضي بها ذاك. هذا النوع الأخير لا يمثله الغرباوي لأنه يتحاشى تضليل الوعي المجتمعي بطرائق تسعى إلى بناء امتيازات وأمجاد رخيصة. ولا يتلون بالتقرب من المتنفذ الفاسد.

كيف يكون الحال مع مفكر نشأ نشأة دينية أصيلة، تحمل قيمها في تشكيل ذات نقية صافية، لا يردعها عن قولة الحق لومة لائم. ويكمل هذه الأصالة الدينية في دراسته الشريعة الإسلامية. كما قلت من الصعب جداً أن تجد مفكراً عربياً وإسلامياً يتطابق تمام التطابق ضميره الديني مع سلوكه النبيل. هذه الميزة تجعل من المفكر الغرباوي يسلك الطريق الوعر المملوء بالصعاب والعقبات التي تتطلب منه الاصطدام بجدران متعددة تحارب أفكاره الدينية الأصيلة بلا هوادة، ولا يثنيه ذلك عن إحساسه الدفين أنه صاحب رسالة بالحياة وليس هاوي شهرة هي ملك يديه[١].

---

١ - استعرض ماجد الغرباوي في كتابه: الشيخ محمد حسين النائيني منظّر الحركة الدستورية شطرا من معاناته مع رجال الدين، وقوى الظلام، فكانت تجربته في بعض مفاصله قاسية، أنظر الصفحات ٩-١٦ من الكتاب.

الفصل الخامس

ماجد الغرباوي ومشروع الحداثة في الفكر العربي

سؤال الحداثة التداولي

أينما نولّي وجوهنا، ومن أي موقع نكون، وفي أي مجال من مجالات الحياة، السياسة، الفكر، الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، الثقافة، الأدب، أو الفنون، نصطدم بجدار الحقيقة الخاصة بنا بوصفها أمة عربية - إسلامية وحدنا من غير أمم العالم وشعوبه، الذين عبروا منذ قرون حواجز الإعاقة والتخلف في حياتهم، وحسموا أمرهم بشأنها وتجاوزوها إلى غير رجعة، ولا يشكّل التخلف اليوم عندهم إشكالية يتوقفون عندها، في كيفية الخلاص منها، كما هو حالنا اليوم ومنذ بدايات القرن التاسع عشر، فما زالت الإشكالية ذاته، ومازال سؤال النهضة، نفسه.

تلك الحقيقة الصادمة لنا التي نحمل أعباءها منذ قرن ونصف على أقل تقدير، هي أين الوطن العربي من الحداثة والعصر؟ ماذا نعتمد؟ وماذا نترك؟ وكيف ومن أين نبدأ؟ تساؤل مهم حاولنا الهروب من مواجهته والتحايل على عدم دفعنا استحقاقاته بمزيد من التخلف

والكوارث والمراوحة في الزمان والمكان، نجده يلازمنا ملازمة الظل في حياتنا بمجملها.

ماذا نحتاج للنهوض بواقعنا المتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية بمديات شاسعة؟

التساؤل العقيم نفسه. العجز عن الإجابة المثمرة. ما فتئنا نتحايل في الهروب من مواجهته، والإجابة عنه منذ ما يزيد على قرن كامل ونصف من محاولات رجال النهضة عندنا. اللف ودوران حول الإشكالية (الأصالة والمعاصرة). بما يضخمّها بمجلدات من الفكر التنظيري الذي يدور في فلك الإشكالية دونما الولوج إلى جوهر المشكلة وتسمية الأمور بمسمياتها الحقيقية التي نحاول باستمرار الاختباء خلفها وترحيلها، إشكالية مستعصية عبر الأجيال.

الجواب المباشر الذي لم يعد بحاجة إلى تهيئة ذهنية أو مراجعة عقلية بعد أن أصبح مرتكز المعاناة التي نحياها، هو أننا نحتاج إلى مشروع نهضوي تحديثي متكامل ينقلنا من واقعنا العربي المثقل بالتخلف المستدام بعوامل الإعاقة، إلى دخول عتبة عصر التقدم والحضارة من حولنا. جواب لم نلمس له تاثيرا واقعيا ملموسا في حياتنا رغم الكم الكبير من الكتب والتنظيرات والمنتديات الثقافية والفكرية التي حاولت معالجة الموضوع، ولم تكن المهمة سهلة أبدا.

ثمة رأي يذهب إلى عدم إضاعة الجهد في التنظير الفكري الذي لم يستطع أن ينقلنا إلى عتبة التمدن الحضاري، الذي ملأنا به عقول

أجيالنا، بالمماحكات الفكرية والفلسفية والتفسيرات الاجترارية المعادة، التي تعيد نفسها باختلاف لغوي تعبيري فقط، راح ضحيتها عدد من المفكرين العرب الذين جرت تصفيتهم في محاولة وأد أفكارهم معهم، فلماذا لا نترك تطورات العصر من حولنا واستهلاكنا السلعي للحضارة العالمية، وانتشار وسائل الاتصالات التحديثية والتقنية العلمية المتطورة تأخذ دورها البطيء، لكنه حتمي حتى آخر المطاف. ينقلنا إلى المدنية المعاصرة، شاء بعضنا أم أبى معظمنا.

يوجد أمثلة أمامنا في تجارب مثل ماليزيا واندونيسيا وتركيا، وإمارات الخليج فهذه التجارب التحديثية لم تقم تجاربها على نقد التراث، بل قامت على استهلاك الحضارة المعاصرة في تقنيتها الحديثة، ولم تفقد تلك المجتمعات هويتها ولا ذاتيتها في التراث.إذ لا زالت الكوفية أو الشماغ والعقال مع الدشداشة سارية المفعول في دول الخليج التي حققت لها طفرة حداثية في الاستهلاك الحضاري ولم تفقد هويتها الذاتية العربية التي لا ننام الليل من كثرة التحذير من فقدانها أو تضييعها.

ورغم كل المجهودات الفكرية التنظيرية على مختلف مشاربها إلا أنها كانت تدور حول الإشكالية الحداثية، ولم تتمكن من الإسهام المطلوب في نقل المجتمعات العربية من وهدة التخلف والتردي المستمر، وحصد الكوارث المتناسلة في الحياة. إنه من المنطقي أن جميع الأفكار التي كانت تروم إحداث تغييرات حداثوية في مجتمعاتنا العربية كانت

معطلّة، لم تأخذ مدياتها المرجوّة لأكثر من سبب، ليس سوء الحكام العرب فقط، ولا التخلف والفقر المجتمعي فقط، وإنما نخبوية الأفكار المتداولة، وضعف مراميها التأثيرية والإقناعية. فالمفكر الحداثي عندنا كان ولا يزال بحاجة إلى صرف جهود مضنية لأقناع مفكر آخر يناوئه بالفكر من منطلقات رجعية، في محاولى الى تبديل قناعاته. فكيف يقنع مجتمع متخلف بحاجة الى التنوير. رغم أن بعضهم يعتمد مناهج أوربية غريبة تماما في مخاطبته العقل العربي، لتبقى إشكالية التراث من حصة المفكرين القاطنين عواصم العالم لا من حصة الشعوب العربية صاحبة المصلحة الحقيقية في مشروعها التحديثي النهضوي.

لم تعد المجتمعات العربية بحاجة إلى من يزقّها بالتنظيرات والشعارات الفارغة التفاؤلية النهضوية، وهو جالس في باريس أو لندن أو السويد. مكتفيا بمواعظه الإنشائية، بعيداً عن حقيقة معاناة شعبه بآلاف الأميال. هذا لا ينطبق على المفكر المغترب فقط بل على السياسيين والحكام وأصحاب الشهادات العلمية والكفاءات المغتربة، (على سبيل الاستشهاد فقط إن عوائل جميع الساسة العراقيين الحاليين، لا يعيشون بالعراق، من عائلة رئيس الجمهورية، وعوائل نواب الرئيس، وعائلة رئيس الوزراء، والوزراء واعضاء مجلس النواب؟) فكيف تتوقع من هذه المجموعة الفاسدة أن تفكر بالفقير ومعاناة الإنسان العراقي. لا لنقله حضارياً بل للإيفاء بأبسط مستلزمات حياته وعائلته؟. وهل يجدي مع أمثال هؤلاء نقد التراث لتصحيح أفكارهم

وقناعاتهم في النهضة والتحديث أو هل يعرف غالبيتهم ألف باء الثقافة أو تحديث المجتمعات؟

نماذج معالجات التحديث بالتنظيرات والمناهج

من المفارقة التي لا يرغب الجميع الاعتراف بها، أن الغالبية الساحقة وليس الكل من الذين كتبوا في الحداثة لشعوبهم لم يكونوا يحملون هموم شعوبهم بقدر اهتمامهم بتوفير راحة ورفاهية لوجودهم في اقامة دائمة خارج البلدان العربية، والتمتع بالهالة التبجيلية لهم، وأستثني منهم عدداً قليلاً لم تغرّهم الهدايا ولا اغراءات العيش في عواصم العالم، ورفضوا التكريم الذي كان يحاول شراء ذممهم وأقلامهم.

لو قمنا بمراجعة مسحية نقدية سريعة ومركّزة منذ بدايات النهضة المطلوبة وغير المتحققة منذ القرن التاسع عشر الميلادي، لوجدنا إجابات التساؤل والبحث في نشدان نهضة تحديثية عربية إسلامية، لاتخرج عن هذه التيارات التي نستعرضها:

أولاً - المشروع السلفي الديني والفكري:

المشروع السلفي الديني والفكري الذي يتمسّك بالنص الاسلامي الفقهي والاجتهادات التشريعية الدينية بمختلف مشاربها، لتطبيق تراث الماضي، وبعثه الذي يحكم فيه الأموات الأحياء، على حد تعبير أكثر من فيلسوف ليس آخرهم ماركس، أي بحسب تعبير الجابري،

(السلفية التراثية التي تبقينا كائنات تراثية وليس كائنات تمتلك تراثها). مشروع يجد النهضة في العودة إلى ماقبل ألف وأربع مئة سنة كي نفهم كيف نعيش حياة العصر. وتمكين الماضي أكثر من مصادرة الحاضر والمستقبل باسم أمجادنا التراثية الوهمية والخرافية الكاذبة، (الإسلام هو الحل).

إن أهم ميزات هذه السلفية التراثية كما يلخصها لنا المفكر محمد عابد الجابري:

١- إن القراءة السلفية للتراث والماضي تنطلق من منظور (ديني للتاريخ يجعل التاريخ ممتدا في الحاضر منبسطا في الوجدان)[١] بمعنى انتقال الوجدان الجمعي عبر الاجيال في (إن الذات تتحدد بالأيمان والعقيدة، التي تجعل من العامل الروحي، هو المحرك للتاريخ، أما بقية العوامل الأخرى فهي ثانوية أو تابعة)[٢].

٢- إن القراءة السلفية لمجمل تراثنا العربي - الإسلامي، هي قراءة لا تاريخية، ومن ثَمَّ فهي لا تنتج سوى نوع واحد من الفهم التراثي[٣]. يقصد الجابري أن يعيد التراث نفسه تاريخيا بعصمة غير منقودة متعالية يتضّخم بالاكاذيب والخرافات المضافة إليه عبر العصور، وبوصفه

---

١ - الجابري، د. محمد عابد، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ص٩.

٢ - المصدر نفسه، ١٠ - ١٣م.

٣ - المصدر نفسه، ص ١١.

ماضياً رجعياً فاعلاً في ترسيمه الحاضر على وفق قناعات تراكمية، وهذه القراءة لا يمكنها احتواء التراث ولا التاثير منه، لأن هذه القناعات الجمعية التراثية التضليلية أصبحت على مر الأجيال والعصور في تراكمها الخاطئ، تراثاً زائفاً يكرر نفسه وينتحل تمثيله التراث الحقيقي، بنفس الرؤى والمنطلقات الجامدة في الحفاظ على القديم التاريخي قبل أهمية الحفاظ على الإنسان بالحياة المعاصرة. وقد تعمّقت هذه السكونية مع انبثاق إيديولوجيا الدين السياسي، التي أعادت الحياة الرجعية المتخلفة للتراث بكل مخزونه من الإعاقة والتقاطع مع العصر والحياة. ولا نقد أو تجديد أو مراجعة يفرضها العلم أو الحداثة المدنية في أبسط اشتمالاتها.

يقول ماجد الغرباوي: (الاتجاه الثاني: ارتد سلفياً رافضاً معطيات الحضارة الحديثة، منكباً على التراث لا يغادره. يصر على استنساخ النموذج الحضاري الإسلامي رغم تاريخيته. وقد غامر هذا الاتجاه في تجربته العملية بنفس أدوات الماضي، فكانت داعش والحركات الإسلامية المتطرفة، قد بسطت روح الرعب والعنف والإرهاب في أرجاء العالم لتثبت للبشرية جميعا فشل المشروع التراثي الديني)[١].

---

١ - الغرباوي، ماجد، الهوية والفعل الحضاري، مصدر سابق، ص ١٧٢.

ثانياً- المشروع العلماني - التغريبي الاستشراقي الليبرالي:

المشروع العلماني – التغريبي الاستشراقي الليبرالي في نشدان تحقيقه نهضة عربية متقدمة ومعاصرة، ومرتكزه الأساس مناقضة للمرتكز الإيماني الروحي السلفي الديني تحديدا والاحتدام به. وهذا المشروع يقوم على انفصامية العلاقة الممتدة عبر العصور مع التراث الذي يتوجب نقده بعيون العصر ومحاكمته بضوئها. وأكثر من ذلك فهي تذهب إلى قراءة التراث بعيون أوربية استشراقية، تعبر كل ما يعرف بالخصوصيات الهوياتية، وتعتمد النموذج الحضاري الأوربي مرجعية تحاكم بها الحاضر والماضي والمستقبل في تفكير وسلوك أوربيين مستوردين، مع احتفاظنا باللغة العربية الجامعة فقط. وهذا التيار يصفه الجابري بأنه:

(أجد المحاور الرئيسة في إشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر، وبالحوار مع المحور الليبرالي في التفكير ونظام العلاقات فيه هو بين الماضي والحاضر، ولكن لا حاضرنا نحن، بل حاضر الغرب الأوربي الذي يفرض نفسه ذاتاً حضارية تستوعب العصر كله بل والانسانية جمعاء)[1]. ويطلق الجابري على هذا النموذج من القراءة التراثية مصطلح (السلفية الاستشراقية)، أيضا في مقارنتها وتعالقها المنهجي بالتضاد مع منهج السلفية التراثية الزائفة.

---

١ – المصدر نفسه، ص ١٤.

والسلفية الاستشراقية (تقوم من الناحية المنهجية على معارضتها الثقافات، وقراءتها التراث العربي بتراث مغاير خاص بها ومن هذا المنهج الفيلولجي الذي يجتهد بردّ كلَ شيء إلى أصله، وعندما يكون المقروء هو التراث العربي الاسلامي، فإن مهمة القراءة تنحصر حينئذ في رده - التراث العربي الإسلامي - إلى اصوله اليهودية والمسيحية والفارسية واليونانية والهندية)[1].

ويصف ماجد الغرباوي هذا الاتجاه بقوله: (كان منبهراً بالغرب حد الانسحاق والتبعية المطلقة، والتخلي عن كل ما يمت إلى الأمة من صلة، فدعا (وهم المتغرّبون) إلى نبذ التراث وانشاء قطيعة معرفية معه باعتباره المسؤول الأول عن التخلّف، ليحل النموذج الغربي محل النموذج السائد في حضارتنا بكل حمولته الثقافية. فجاء حلاً مبتسراً للمشكلة ساهم في تعميقها من خلال تبنّي مفاهيم جديدة تكوّنت في فضاءات ثقافية غريبة عن بيئتنا. جاءت لتطمس هوية الأمة ومعالمها الحضارية، وتُفقدها أصالتها وانتماءها. وهنا سيكون استدعاء النموذج الغربي بجميع حمولته الثقافية معيقا للتطور المنشود، لذا فشل هذا الاتجاه في تسوية الإشكالية، وتصدى له محافظو المجتمع، رغم أصدائه لدى طيف واسع من المثقفين)[2].

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٥.

٢ - المصدر نفسه.

ثالثاً - المنهج او القراءة الماركسية للتراث:

المنهج أو القراءة الماركسية للتراث التي تعتمد الجدل منهجاً في البحث والتحليل، وإن التراث العربي الإسلامي، بوصفهِ بنيةً تاريخية، يعتملها الصراع بين مصالح الطبقات المتناحرة، كما يجب محاكمة التراث بمعايير العلم المنهجية في تناولها جميع قضايا التراث، وبقي المنهج الماركسي في قراءته التراث متمسّكا بكلاسيكية ثنائية المادية بالضد من المثالية، وجدل الصراع الطبقي في بروز المراحل التاريخية، وهذا المنهج هو أيضا يقود إلى سلفية ماركسية في محاولتها تطويع الواقع لمقولات التنظيرالجاهزة، وأبرز ممثلي هذا التيار من المفكرين هم، حسين مروة، والطيب تيزيني، ومحمود أمين العالم، ومحمد عيتاني وغيرهم.

رابعاً - المنهج التوفيقي:

المنهج التوفيقي الذي يحاول اعتماد (وسطية) تخدم نقد التراث بما يحتمله كي لا يضيع، وربطه بالمشروع النهضوي القومي (إيديولوجيا)، وهذا المنهج دأبت التنظير له غالبية القوى والاحزاب التي حكمت أقطار الوطن العربي بعد ثورات التحرر الوطني من الاستعمار، التي رفعت شعار الوحدة والاشتراكية العربية أيضا. ويُعدّ المفكر محمد عابد الجابري بطروحاته النقدية الفكرية والفلسفية للتراث هو قمّة ما توصل إليه التيار فكريا - فلسفيا على يديه، بعد نهايتها

بوصفها أنظمَة حكم فيما عرف بثورات الربيع العربي ٢٠١١، أنظمة مارست الاستبداد والأخطاء المصيرية القاتلة تحت شعارات الوحدة والاشتراكية التي كانت ابتذالا فكريا عاطفيا فاسدا لا يمتلك رصيدا من الواقع العملي التطبيقي غير الشعارات الفارغة التي ألحقت الكوارث بالوطن العربي.

وبالرغم من تبني مشروع الجابري النهضوي القومي، من قبل مؤسسة دراسات الوحدة العربية في بيروت، وهي مؤسسة غير حكومية مستقلة تتبنى إيديولوجيا القومية والوحدة العربية، إلا إن هذا المشروع لاقى معارضة شديدة وصلت إلى حد الشخصنة مع الجابري من قبل طيب تيزيني، كما لاقى نقدا لسنوات طويلة من لدن المفكر جورج طرابيشي في مسلسل تأليفي استهدف مشروع الجابري النقدي النهضوي بسلسلة من مؤلفات الرد على الجابري في جميع أطروحاته الفلسفية في مشروعه النهضوي العربي.

وماجد الغرباوي، يُرجع التفيقي على تاريخ أقدم من النهضة العربية المعاصرة، فيقول: (الاتجاه الثالث: عاد إلى التراث، يستنطقه، يبحث عن مصادر قوته، ليؤسس من عناصره القادرة على البقاء قاعدة تستوعب معطيات الحضارة الحديثة في إطار الإسلام وقيمه ومبادئه. فلا يلتصق بالتراث ولا يرفضه، بل ينقده ويقوّمه ليستلهم منهجا في الرقي الحضاري. ثم لا يرتمي في أحضان الغرب ولا يرفض معطياته

الحضارية، مادام جزءا كبيرا منها نتاجاً بشريا، يمكن لأية حضارة استيعابه ضمن أطرها الدينية والحضارية. غير أن الاتجاه الثالث لم يتغلغل في أعماق الوسط الاجتماعي ليستنقذه من التردي الثقافي بل ظل همّاً محدود التأثير، يتعهده روّاد الإصلاح الواحد تلو الآخر، ولم يتحول بعد إلى تيار عارم، متمرد، يهز ضمير الأمة ويوقظ شعورها بالمسؤولية تجاه مستقبلها، ودعوتها إلى رفض السكونية الناتجة عن عدم وعي الأزمات، أو الناتجة عن عدم إدراك خطورة التراكمات التاريخية والفكرية والسلوكية، على مستقبل الدين، لذا ظلت الدعوة إلى مراجعة الفكر والثقافة والإلحاح على دراسة الواقع ومكوّناته الثقافية دعوة مريبة، تستفز مشاعر فئة تكرّس خرافات وطقوس خالية من أي محتوى ديني. فيزعجهم الوعي، وتصدمهم الحقيقة، وتربكهم تعرية البدع المختلطة بالدين)[1].

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٧٣.

الفصل السادس

ماجد الغرباوي
في مشروعه النقدي للتراث

مشروع المفكر ماجد الغرباوي الذي يعمل عليه بمثابرة هو مشروع ناشيء. يحمل كثيراً من أفكار التجديد غير المسبوقة. يمكننا وضعه بين مشروعي الجابري وأراكون باختلاف منهجي عنهما. في نشدانه تأسيس مشروع نهضوي يتمركز حول نقد التراث الديني، الذي تُعَدُّ مجاوزته، والانتهاء من حلّه، كفيلا بوضع مسار النهضة على الطريق الصحيح في انطلاقته التحديثية. (إذاً الخطوة الأولى على طريق تسوية إشكالية التراث والمعاصرة، العودة للتراث لرصد مساحات القداسة فيه... وتفنيدها بمنهج نقدي عقلي يقوم على تحري الأسباب الحقيقة، وعدم الاكتفاء بالتفسير والتأويل نزولا عند قدسية التراث كما يراه الناس، وذلك للتخلص من ثقله، وسطوته وهيمنته)[1].

مشروع الجابري الذي عرفناه قبل قليل، هو مشروع نقدي يتمحور فكريا على قراءة التراث إيديولوجيا من غير ابتذال، ينشد تحقيق ما

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٨٢.

عجزت عنه إيديولوجيا الأحزاب القومية وأنظمة الحكم التي كانت ترعاه، في التثقيف على إيجاد وسطية توفيقية ناقلة، لا تتنكر للتراث، ولا تستهين بنقده أيضا. وعدّها التراث ذاكرة تاريخية وهوية مميزة للأمة، لا يمكن مجاوزته أو الاستغناء عنه. كان المشروع هو إيديولوجيا البرجوازية الصغيرة في نشدانها تحقيق وحدة الأمة واشتراكيتها، الذي انتهى مع سقوط أنظمة الحكم الاستبدادية التي كانت ترعاه وتحتضنه، بعد أحداث الربيع العربي الذي أطاح بتلك الأنظمة الفاسدة. وأعقبه بروز ما سمي حينها الصحوة العربية الإسلامية بكل تطرفها وهمجيتها وسفكها الدماء (صفحات القاعدة وداعش) وغيرهما من الحركات الدينية الإرهابية المتطرفة. خلاصة مشروع الجابري ومرتكزه هو نقد (العقل العربي)، معرفيا وفلسفيا وحضاريا.

أما مشروع محمد أراكون فمرتكزه الأساس يقوم على نقد (العقل الديني) الإسلامي، ومن هنا فهو لا يلتقي مع مشروع الجابري في النقد الإيديولوجي العروبي القومي. وينطلق في نقده من منطلقات استشراقية صرف. ويدعو اعتماد الآلية نفسها التي حققت أوربا نهضتها بها. باعتماد أول مراحل حركة الإصلاح الديني التي ستكون مبتدأ كل نهضة عربية منشودة ونهايتها.

نعتقد أن أراكون أصاب تشخيص الانطلاقة النهضوية بكل دقة ولكنه أخطأ المنهج، إذ لم تكن وسائل تحققها موفقة باعتماد المنهج

الأوربي الاستشراقي النهضوي. وحتى في محاولته الاستفادة من المناهج الحديثة في المعرفة والفلسفة كما في البنيوية والتفكيكية وبعض أطروحات ما بعد الحداثة الأوربية والفرنسية منها على وجه الدقة.

اين موقع مشروع الغرباوي من هذين المفكرين؟

لم يعتمد الغرباوي المنهجية القومية التراثية (الجابري)، كما لم يعتمد المنهجية الاستشراقية (أراكون)، بل طرح مشروعه في نقد العقل الديني الذي هو مرتكز الحل ومفتاحه في إشكالية التراث مع المعاصرة كما سبق وطرحه أراكون. لكن الغرباوي تحاشى المنهج الاستشراقي الذي اعتمده أراكون، واعتمد نقد نص التراث الديني الزائف تحديدا، بوسائل فهم التراث ومراجعته بأدوات الأصالة والانتماء الحقيقي للتراث غير المشوّه والمنحرف الذي يتوجب الحفاظ عليه بوصفه مرتكزاً نهضوياً لا غنى عنه بعد إزالة الانحرافات والاعاقات التضليلية التي طرأت عليه: يقول: (إن طموح إشكالية التراث والمعاصرة الخروج بمشروع ينتشل الواقعين العربي والإسلامي من حالة التراجع والتخلف والإنكفاء إلى أفق الحضارة والتقدم والتطور في جميع مناحي الحياة. غير أن نجاح هذه الاتجاهات في تسوية الإشكالية تراوح بين الفشل والنهوض المحدود، لأنها إشكالية معقدة، مردها إلى إشكاليات أعمق تتطلب تسويتها في مرحلة سابقة، تتعلق بفهم الدين وسعة الشريعة، وقدسية التراث، وكيفية تراكمه، وحدوده

وعلاقة الفرد والمجتمع والثقافة به، وتأثير الاستبداد، والاستعمار، والأيديولوجيا، والصراع الطائفي)[1]. فكانت أبرز معالم تلك الرؤية النقدية كالأتي:

١- التراث فهم بشري يمكن تفكيكه وتحليل مقولاته، غير أن الضرورات المرجعية للمذاهب المتصارعة نأت به عن النقد والمراجعة والتشكيك، عندما وضعت حوله أسيجة رسخته في وجدان الناس بالرغم من غرائبية قدراتها المعرفية ومصادرتها وأسطوريتها، فكرست الايدولوجيا منطق الاستعلاء والوصاية، بعد أن جردت التراث من تاريخيته وبشريته، وأبقت على تعاليه وقدسيته، مع أنه ليس مصدرا للمعرفة القائمة على الدليل والبرهان دائما[2].

٢- ومن ثمَّ لا معنى للحديث عن نهضة حضارية، وثمة من يكتفي بالتراث مصدرا مطلقا للمعرفة، ارتكازا لهيمنته السحرية التي تتجلى في ديمومة حضوره وقدرته على توجيه وعي الناس بعيدا عن العقل.... بل لا معنى للعقل مع وجود نص ينتمي لعقل أسطوري كامل مصون، فالنص فوق العقل وفقا للوعي التراثي[3].

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٧٣ و١٧٤.

٢ - الغرباوي، ماجد، موارابات النص، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق - سوريا، ٢٠٢١م، ص ٢٥٨.

٣ - المصدر نفسه.

٣- اقتحام أسوار العقل التراثي ومرجعياته، وتفكيك خطابه، وتحليل مقولاته ضرورة للحد من توسع سلطة التراث على حساب العقل والمعرفة الحقيقية، فالتراث بما فيه الديني بكل نصوصه ورواياته وفتاواه لا تشكل مصدرا معرفيا حقيقيا لأنها نصوص تاريخية وفهم بشري[١].

٤- نحن بصدد نهضة حضارية، والدين يشكل مقوما ذاتيا لثقافتنا، ويفرض علينا النص الديني الأوسع من الآية والرواية بما يشمل فتاوى الفقهاء وتفاسير القرآن... ومطلق التراث هو نتاج ظرفه الزماني والمكاني، محكوم لمختلف المؤثرات الدينية والسياسية والطائفية، فكيف يمكن معالجة واقع لا يعرف عنه شيئا[٢].

٥- المسلم يخشى عقله وحريته، ويتشبث بعقول تاريخية ليتحلل من مسؤوليته، ويقبل منطق الوصايا والتسويغ دون النقد والمراجعة، بهذا الشكل فقط تستقر النفوس المهزومة التي أدمنت العبودية الفكرية والعقدية والاجتماعية والسياسية، إنها محنة العقل التراثي ورثاثة العقل[٣].

جديد المفكر الغرباوي أنه يدخل عبر نسيج المداراة التي اعتادت الدوران حول إشكالية التراث والمعاصرة في تقليب صفحات كثيرة جدا من تاريخ المتراكم التراثي. كما فعل عديدون في تسويد عشرات

---

١ - المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

٢ - المصدر نفسه، ٢٦٢.

٣ - المصدر نفسه.

المؤلفات التي عالجت المواضيع التاريخية نفسها بالتحليلات نفسها تقريبا. أي إن غالبية المفكرين الذين نقدوا التراث في عديد من المؤلفات التي لم تخرج عن دائرة النخبوية الفكرية. تناول بعيد جدا عن ضرورات تحديث حياة الناس. مثلا في التعليم العلمي الحديث أو في مجال الاقتصاد والاجتماع وغيرها، لا زالت الجامعات تسودها السلفية الفكرية أساتذة وطلبة. ولا زالت دروس الدين في التعليم الابتدائي تفرض مباراة التجويد وتجريها، وتمنع دروس الموسيقى والرياضة، بموازاة إصدارات الكتب والمؤلفات في نقد التراث ومراجعته لما يزيد عن اكثر من قرن ونصف.

وعندما كان معظم المفكرين يتحاشون تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، ويدعون للكشف عن المسكوت عنه، أو المحظور التفكير فيه، وغير المسموح مقاربته النقدية، نجد الغرباوي يضع عيّنات من تلك النماذج المحظورة على طاولة النقاش والمراجعة النقدية، بعيدا عن استقطابات الإيدولوجيا والمذهبية الطائفية، وتيارات الاستشراق الحديثة ومدارسه.

الموقف من التراث

بالرغم من تأكيد الغرباوي على نقد التراث، وتعرية زيفه ومغالطاته، لكن موقفه منه موقف أخلاقي، فهو يؤكد: أن الموقف الأخلاقي من التراث ينطلق من قيم ومبادئ إنسانية كونية شاملة،

محايدة، ترفض القيم الأخلاقية النسبية التي تُمليها نصوص تراثية وفقاً لقبلياتها الطائفية، فتهدر بذلك كرامة الإنسان، الذي هو قيمة عظمى وفقاً لمنظومة ذات القيم الأخلاقية الأصيلة[١].

وعلى هذا الأساس مهّد لتأسيس منهج لنقد التراث، تمهيداً علمياً موضوعياً، لا يغالي فيه ولا يبخسه. واشترط توفّر عدة معرفية لاقتحامه. وخبرة حقيقية بمناهجه ومصادره وموضوعاته لدراسته. أو يغدو - كما يعتقد الغرباوي - فوضى خارج الضوابط العلمية. فثمة وجهات نظر تزهد بقيمته المعرفية. تصفه بالتخلّف وترميه بالجهل والانحطاط، وتحمّله مسؤولية تراجع الدور الحضاري للعرب والمسلمين. في مقابل تبجيله، وتقديسة قداسة مبالغ فيها، يتبناها السلفيون، ومن يتبعهم[٢].

في ضوء هذه الرؤية يراهن على الموضوعية في قراءة التراث ضمن سياقه التاريخي، فهناك منجزات علمية على صعيد الفلسفة، وعلم الكلام، والفقه وعلوم القرآن، والحديث والدراية، تجاوز بعضه الزمن، ومازال بعضها الآخر يفرض حضوره العلمي والمعرفي.

إن دراسة التراث ضمن سياقه التاريخي، كما يعتقد الغرباوي، تسمح بنقده وتعريته والكشف عن القيمة المعرفية لمبادئة ومقولاته

---

١ - الغرباوي، ماجد، مقتضيات الحكمة في التشريع، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا وأمل الجديدة، دمشق - سورية، ٢٠٢٤م، ص ٣٢٠.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣١٣.

الأولية. فمهما بالغوا بقدسية التراث يبقى منجزاً بشرياً في إطار ظرفه الزماني والمكاني، يحتفظ بتاريخيته، وعدم تعاليه على النقد. ورأي الغرباوي هذا أكده مرارا وفي غير مناسبة، فالتراث عنده لا يعلو على النقد والمراجعة، ويبقى مرتهناً في إطلاقه وتأثيره لمتانة مبانيه ومبادئه وأسسه، بما في ذلك الفقه الإسلامي الذي يشتغل على نصوص الكتاب والسنة. مع أن الفقه وفتاوى الفقهاء غدت سلطة مقدسة، تترتب على مخالفتها عقوبات دنيوية فضلاً عن العقوبات الأخروية. وهي قدسية مريبة لا أساس لها سوى فهم خاطئ لدور الدين في الحياة، ودور الإنسان فيها، ورغبة الفقيه في تحصين سلطته بالمقدّس، وتوظيف الفتوى لصالح مكانته الاجتماعية والسياسية، وتلبية لطموحاته المذهبية والطائفية[١]. وعلى هذا الأساس أشار في آخر كتاب صدر له هذا العام، بعنوان: «مقتضيات الحكمة في التشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام» إلى بعض ضوابط دراسة ونقد التراث في ضوء المبادئ الأخلاقية، وما يحقق نهضتنا التي طال انتظارها:

١- يشترط تحري الموضوعية ونزع الأحكام المسبقة في قراءة التراث.

٢- أنسنة التراث عبر دراسته تاريخياً تمهيدا لنقده، بوصفه تراكماً بشرياً، مهما كان مصدره، ومهما كانت قيمته المعرفية.

---

١ - المصدر نفسه.

٣- تقديم العقل على النص.

٤- التأكيد على القطيعة التامة مع البنية الأسطورية للتراث، وتركيز النقد على أدلته وبراهينه.

٥- اعتماد التأويل في قراءة النص المقدّس للتخلص من التفسير الدوغمائي.

٦- استبعاد كل نص يقوم على ثنائية تهدر الحقوق العادلة للإنسان. ولاسيما حريته وإرادته.

٧- تفكيك النصوص التي تكرّس ثقافة تمجيد الموت، وهجاء الحياة، والتحريض على العنف، وتكريس منطق الكراهية، والاستعلاء.

٨- إضاءة النصوص الأخلاقية والإنسانية[١].

أما على صعيد التراث والنهضة فقد أكد ماجد الغرباوي: أن (التراث يمثل الآن عقبة، ما فتئ الوعي العربي والإسلامي مرتهناً للتراث وقيمه الأخلاقية والعلمية. يستفز نقده العقل التراثي. من هنا تأتي صعوبة تفكيك مقولاته وثوابته ما لم يتسلح المرء بالعلم والجرأة التي تتطلبها النهضة الحضارية)[٢]. ويضيف: (العقل التراثي يُعد تحدياً كبيراً أمام التنوير، يتمسك بالسلف مرجعية، ويمنح الفقيه وصاية، تارة تكون مطلقة كما بالنسبة إلى ولاية الفقيه المطلقة، على حساب

---

١ - المصدر نفسه، ص ٣١٤.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣١٥.

حرية الفرد وكرامته. ويرفض كل مبادرة من شأنها تحديث مناهج قراءة النص وأدواته من أجل فهمٍ أكثر قدرة على مواكبة الواقع. فهمٌ يؤكد على مركزية الإنسان، ويقوّم مصالحة بين الدين والعصر، لتفادي طاقته الروحية، التي يرتهن لها الاستقرار النفسي والسلوكي والاجتماعي، ويُعد طاقة إيجابية تبعث على الخير والأمن والسلامة والتآخي. وليس أمامنا لتجاوز محنة الاتجاه الدوغمائي سوى مواصلة التنوير، وبث الوعي، مع تفكيك مستمر للخطاب السلفي. والكشف عن كل ما يرتبط به من دواعٍ سياسية وسلطوية[1].

---

١ - المصدر نفسه، ص ٣١٧.

الفصل السابع

الحداثة والذات العربية

نستنتج مما مر بنا استعراضه، أن تحقيق مشروع الحداثة مرتهن بمركزية الذات العربية الإنسانية ووجوب تعاليها النقدي على النص التراثي الديني والفكري. بمعنى تأكيد أولوية الحرية الفردية السابقة على فكرة التناول النقدي للتراث، وتأكيد أولوية الإنسان العربي وأهمية بوصفه غايةّ التحديث المنشود ووسيلته.

إن الذات العربية نجدها اليوم حالها حال ما قبل ألف وأربع مئة سنة خلت، عاطلة عن ممارسة الحس النقدي. مسلوبة الحرية في التفكير الحر المستقل، فأضاعت تعاليها المطلوب على الموروث الذي هو في غالبيته من صنع بشر سبقوا زمنيا، ولا دور للخالق فيه من حيث هو نصوص تشرح وتفسّر وتعتاش وفق مصالحها على الدين، وهذا كفيل في تغييب الشخصية العربية الناقدة لموروثها، وبمرور الوقت تجد هذه الذات نفسها، يخلقها الموروث الخاطيء ويعيد صياغة أفكارها وتعليبها كلما تقدم الزمن بها، فتصبح كائناً تراثياً بحسب تعبير الجابري، وليس ذاتا تمتلك تراثا لها حق التصرف به.

النص الديني الموروث متعال على الذات بقدسية زائفة يخلقها لنفسه ويخلعها عليه، وهو تعالٍ زائف لا يمت بصلة بأصالة قيم الدين الحق وفهمها. وتعود الإشكالية تتوالد من حيث انتهت وباستمرار في تغييب دور النقد والمراجعة بما يبطل في حال تحقق ممارسته سلسلة التساؤلات التي تفرضها ويتطلبها تقدم الحياة. ويكون غياب النقد الذاتي والقراءة المنفتحة وعطالته متشكّلا من القناعات في المتراكم المخطئ الجمعي الذي يجري في تشكيل الحياة سريان القانون المقدس، المترسّخ في العواطف والوجدانات والخرافات، وحشو الأكاذيب.

ومن نتائج هذه الحالة أصبح عندنا نقد الذات للتراث تابو ومحرّماً ليس بسلطة الحكم وإيديولوجيته السياسية المتنفذة وحسب، ولا بسلطة التخلف والتضليل والتجهيل المبرمج، وإنما من التلفيق المتراكم، الذي جعل من الأكاذيب والخرافات باسم الدفاع عن التراث وحفظه، يقينيات مجتمعية، لا يمكن تجاوزها وعبورها بسهولة. وترسيخ كل ما يستحدث من الإضافات اليقينية الكاذبة على مر الأيام. إضافة لتعطيل دور العقل في النقد الذاتي للتراث الزائف والمتراكم المتداول عبر العصور، الذي تشكلت الذات بموجبه، بوصفه ملهماً للتفكير المقيّد، للتوجهات والعواطف والأخلاق والسلوك المنحرف.

يمكننا القول إن المنقود الواجب أصبح اليوم ليس التراث بمقوماته الأساسية الأصيلة، وما يحمله من قيم معنوية تاريخية هوياتية تشكل

مرجعية ثقافية حضارية لا غنى لنا عنها، بل أصبحت مهمة النقد تفنيد وإزاحة المتراكم الخرافي والتلفيقي الذي أصاب التراث باسم الحفاظ على التراث واليقينيات، التي اكتسبت صفة المقدس الطارئ في اللاعقلانية واللاتاريخية التي غيّبت كل القيم الأصيلة في التراث.

قناعات النص الديني المزيّف، تستمد مشروعية سريانها الاجتماعي المضلل المتخلف، بتعاليها باسم المقدس الديني. فتحرّم النقد بكل صوره وأشكاله، فكيف يتسنى لنا دخول العصر والحداثة من غير تغيير وإسقاط أحد طرفي المعادلة الإشكالية التي تتقاذف مجتمعاتنا العربية عبر العصور؟. إشكالية غياب المنهج النقدي باسم تابوهات التحريم والتكفير من جهة، ومن جهة أخرى، حضور القناعات الخاطئة القاتلة اجتماعيا، القائمة على تسليم ايماني وجداني يغيّب حياة الناس على الأرض من أجل جنة سماوية موعودة، فتبقى الاشكالية قائمة تتغذّي الخرافة والتجهيل الإيدولوجي المبرمج الذي لا يرى الحياة ولا يفهم بغير عيون الماضي وسلوكيات الانقياد له بكل رجعيته.

الفصل الثامن

منهج النص في سؤال الحقيقة

يُعد كتاب المفكر الاسلامي ماجد الغرباوي (النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني)[1] من كتب المرحلة العربية الضاغطة على حياتنا المعاصرة، التي تفرض علينا وجوب استنطاق النص الديني من أجل الوصول إلى الحقيقة، التي غيبتها مراكمة التخلف عبر العصور والتاريخ، كما يؤكد المؤلف. ومن قراءتي غير التخصصية الدينية في قضايا الفكر الديني الإسلامي لمضمون الكتاب، استوحيت الملاحظات التوضيحية التي أرجو أن أكون موفقا بها، وابدؤها بالآتي:

١- الكتاب هو واحد من سلسلة مؤلفات لماجد الغرباوي، تؤسس لمشروع منهجي نهضوي عربي إسلامي نقدي جريئ. يفرضه واقع الأمة العربية والإسلامية المتراجع باستمرار. وقد ابتعد المؤلف فيه عن كل تلفيق وهمي يُظهر تاريخنا الموروث والديني تحديدا، وكأنه نموذج نهائي فريد، قادر عليي معالجة جميع مشاكلنا المعاصرة، كما دأب على ذلك

---

١ - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني - أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق - سوريا، ٢٠١٨م، ٣٠٤ صفحات، حجم كبير.

غالبية كتابنا الإسلاميين، ممن يتعمّدون إستعراض ذات السرديات في نقد الفكر الديني. وهم يعلمون أنها كتابات لا تلامس سوى قشرة الاختلالات الواقعية التاريخية. فيكتبون بعيدا عن تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، وبعيدا عن طرح الإشكاليات على بساط المناقشة الجادة، لتعرية الأكاذيب، وإبراز حقائق الأمور المغيّبة في النص الديني.

كما استبعد الغرباوي، خلال نقده للفكر الديني وقضاياه، الشد والجذب المذهبي الطائفي المتوارث، المتجّذر في عمق الخلافات المذهبية والطائفية. وتناولها بشكل يختلف عما يتوخاه غيره، ويسعى له من المؤلفين الإسلاميين الإيديولوجيين، لتأجيج صراع الأجيال «المذهبي – الديني والطائفي» عبر تعميق الخلافات أكثر، وذلك بصرف النص عن حراكه التجديدي المطلوب. أي يقومون بتأويل النص بعيدا عن مراميه التجديدية وغاياته الإصلاحية. فيمتصون روح النص، ليبقى هامدا بلا حراك تجديدي.

ومنذ زمن ليس بالقصير يأخذ هذا المنحى التصادمي صفة الانفرادية القسرية، التي تحاول فرض هيمنتها السلطوية أو الإيديولوجية. وتسعى لاحتكار الدين والفكر الديني، وتكريسه لوجهة نظر مذهب إسلامي واحد دون غيره. مذهب يصادر النص، ويرفض كل قراءة نقدية تجديدية مغايرة، خارج حدود الرؤية الدينية المذهبية. وخارج يقينياتها وقبلياتها. فهو يصادر قدسية النص لصالحه، ويحتكر الإيمان والخلاص، انطلاقا من حديث الفرقة الناجية. الذي

يُقصي جميع الفرق والمذاهب الإسلامية باستثاء الفرقة الناجية التي هي اليوم محط تنازع بين جميع المذاهب والفِرق الإسلامية. كل واحد يدعيها ويكفّر الآخر، المسلم. فهذا الحديث كان وما يزال وراء تكفير المسلمين. والأمر لا يقتصر على المذاهب بل جميع الديانات تنطلق من هذا الحديث، بصيغ مختلفة. كل دين يدعي أنه على حق مطلقا، وغيره على باطل مطلقا. ومعنى بطلانه جواز استبعاده وتهميشه بل وحتى تكفيره. (... المذاهب والفِرق لم تعد مجرد اختلافات اجتهادية حول المسائل الفقهية، بل أصبحت تمثل قراءة وفهماً للدين، له خصائصه ومعالمه، وقدرته على التنافس، لاحتكار الحقيقة وسبيل النجاة في الآخرة. فحطّم خطاب الفرقة الناجية أواصر المحبة والأخاء الديني والإنساني. وزرع روح الكراهية والحقد. وهي صفة ملازمة للفِرق والمذاهب، لا تختص بدين دون آخر. غير أن خطاب المذاهب والفِرق الإسلامية مشبع بالسياسة. وقد أعاد قراءة الدين وفقا لرؤيته)[1].

إن اغتيال روح الإيمان، البعيدة عن الكراهية والعنف، المترعة بحقيقة، المفعمة بنفحة روحية تربط الإنسان بخالقه. علاقة روحانية متفردة بقيمتها الدينية. هذا الاغتيال عمل لا ديني ولا أخلاقي. إذ قاموا بتحريف النصوص من أجل نزع أصالة هذه الحقيقة الإيمانية من عصمتها الإلهية واستبدالها بفكر ديني بديل. وتفكير إيديولوجي

---

١ - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقي.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مصدر سابق، ص٤٦.

سياسي متخلف. مخادع. كاذب. محتواه وقوامه المغالطات، لإزاحة أصل النص الديني الموحى به. وسلبه قداسته خلف حجب متراكم من الأكاذيب والخرافات والاجتهادات الفقهية الدخيلة. إن التعصّب الأعمى في الاختلافات السائدة، وتحريف الفكر الديني سياسيا، وتبني العنف وإقصاء المسلمين من غير المذاهب في مصادرة الحقيقة الدينية لحسابه وحده دون غيره، وتكفير غير المسلمين ومنع حقهم بالمشاركة في وطنهم. ومنع مهمة الإسلام المتعدد المذاهب من التعايش الديني مع الآخر، والإسهام المشترك في تحديث الحياة العربية الإسلامية، كل هذا وغيره وراءه دوافع إيديولوجية سياسية جعلت من الخطاب الديني الوضعي الاجتهادي سلعة تباع وتشترى في أسواق التخلف والتجهيل العام. وجعل المتداول الفكري الديني الخرافي المتخلف، العابر لإنسانية جوهر الدين وصدقيته في انسانيته ونقائه، جعله المصدر الغالب والمعتمد. وتعميم هذا التفكير الضال والمضلل ايديولوجيا سياسيا، للجم أية محاولة لمراجعته ونقده وتصويبه كما تقتضيه الحياة العصرية كي يماشي التديّن روح الحداثة، ويبعث التجديد المتحضر في مناحي اجتهاداته التكفيرية العقيمة.

٢- إن سلسلة المفكرين العرب والإسلاميين من الذين تنبهوا إلى أهمية معالجة انحرافات الفكر الديني الإيديولوجي وتكبيله، ومنعه لأي تقدم في الحياة العربية الإسلامية، كانت بداياتهم مع مفكري بداية القرن التاسع عشر. مع العشرات من مفكري مصر القدامى

والمحدثين، وغيرهم على امتداد الوطن العربي، بما لا يمكن حصرهم، ومن مفكري المغرب العربي خير الدين التونسي، ومحمد عابد الجابري، والجزائري محمد أركون، وعشرات آخرين ولن يكون مشروع الغرباوي آخرهم أو الوحيد مع مفكري العراق وبلاد الشام، من الذين وجدوا أن تحقيق نهضة الأمة يتوقف على نقد وتفكيك الخطاب الديني، الوضعي، المتحجر، الذي يقف حجر عثرة أمام كل انطلاقة نهضوية علمية حضارية تنشدها الأمة العربية الإسلامية. وفي هذا المنهج نجد الغرباوي يلتقي مع مشروع محمد اركون وعدد كبير من المفكرين الاسلاميين قبله، الذين أجمعوا على أهمية الإصلاح الديني والفقهي الاجتهادي التنظيري، وأولويته بوصفها بداية ونقطة ارتكاز، تقوم عليها حلول عوائق التخلف الأخرى المتفرعة عنه والمرتبطة به. هنا يلتقي الغرباوي مع أركون في أولوية الإصلاح الديني بوصفه مرتكزاً نهضوياً إصلاحياً كما فعلت أوربا، لكن باختلاف (المنهج) الذي كان دعا له عديد من المفكرين الإسلاميين، في انجذابهم نحو منهج الاستشراق، ربما كان أبرزهم أركون من المفكرين المحدثين، الذي لم يعتمده الغرباوي، واستبعده في جميع كتاباته ومؤلفاته لكونه يحمل مشروعا استشراقيا تحديثيا.

٣- هل نحن محقّون في تساؤلنا لماذا لم يطرح الغرباوي النص وسؤال الحداثة بديلا عن النص وسؤال الحقيقة؟ وهل يوجد فرق تحقيق أسبقية بين الاثنين؟ أم أن الوصول إلى تحقيق قيم الحقيقة يعني

استيعابا ضمنيا في تحقيق قيم الحداثة، على اعتبارهما أهم إفصاحات العصر عن ذاتيته الحقيقية، وترسيخ قيم الحداثة؟. أجد أن لا اختلاف بين تحقيق الحداثة وتحقيق كشف الحقيقة إنهما مرتكز واحد يجمعهما الهدف الواحد المنشود، لتحقيق المشروع النهضوي. لكن يبقى الاختلاف في منهجية التناول، وأسبقية هدف التحديث مجتمعيا. في مجتمع عانى التخّلف قرونا طويلة، بسبب تغييب الحقائق العلمية التاريخية والحقيقة الدينية التي تماشي المعاصرة حصرا.

٤- إلتزم المفكر الغرباوي خلال بحثه بالمنهج التاريخي. وهو منهج يفرضه هدف البحث وموضوعه، لا وسيلته الثانوية التي عدَّها بعض المفكرين العرب والمسلمين (هدفا ووسيلة) معا في كتاباتهم. الهدف هو الذي فرض المنهج. وهذه نقطة مهمة ينبغي الالتفات لها. وأيضا تفرضه قدسية النصوص الدينية، بوصفه، أي النص المقدّس، موضوعا للبحث والدراسة والمراجعة النقدية، فينبغي الأخذ بنظر الاعتبار قدسيته. إن مصدر النص المقدس يختلف عن مصدر النص الفلسفي. وبالتالي ينعكس هذا على منهج البحث ونتائجه. فمثلاً، الدراسات الفلسفية تعالج قضايا فلسفية منطقية تجريدية. لذا تختلف في منهجيتها عن منهجية معالجة التفكير الديني. وبشكل آخر، المنهج الفلسفي يبتعد عن منهجية التفكير الواقعي التاريخي، الذي فرض نفسه على الغرباوي... المنهج عند الغرباوي لم يعد يشكل طموحاً أو هاجساً يراوده وهو يسعى إلى تحقيق تغيير مفاهيمي لفكر ديني بات لا

يماشي العصر ويتقاطع معه. وليس ضمن اهتمامه مناقشة مباحث فلسفية تفرض منهجا منطقيا تجريديا يعتمد مركزية اللغة، بعيدا عن الحياة ومشاكلنا ومعاناتنا. كما أن الملاحظ أن الغرباوي لا يهتم بمصدرية ثيولوجيا النص أو تاريخيته. ولا هي مبتغى نقده فلسفيا. فما يعنى به نقد الفكر الديني تاريخيا عندنا ما عاد يمثّل، بالنسبة إلى قيم الحداثة الغربية التي أرستها الفلسفة المعاصرة، وتداخل العلم وإيديولوجيا التحديث الديمقراطي عندهم منذ عصر النهضة والتنوير، ما عادت تمثل عندهم إشكالية ذات حضور مصيري مهم، يمس حياتهم كما هي حالنا اليوم وقبل قرنين من الآن، على العكس منا. فالبحث عن الحقيقة الدينية المفروضة علينا حداثيا عصريا لا تشكل لدينا ترفا فلسفيا يقبل المناقشة الزمنية الطويلة وتأجيل حسمها، إنما هي عندنا تقوم على تصحيح مسار تاريخ زمني طويل خاطئ للفكر الديني لدينا. بوصفها وقائع وأحداثاً ومعارف موثّقة تاريخية تشكل ركيزة مفصلية مهمة من تراثنا العربي الاسلامي. وهذه الحقيقة التي نحياها وتؤرقنا لا تشكل أي اهتمام في مباحث الفلسفة الغربية المعاصرة، لا التاريخي ولا الديني ولا الحضاري، ولا حتى العلمي يهم شعوبها اليوم. مادامت لا تدخل صميم حياتهم المعيشية أو مستقبلهم الحضاري، فلكل من هذه المسارات المصيرية في حياة شعوبهم أخذت طريقها الصحيح المستقر الذي لا تحيد عنه، ولا تسمح للانحرافات النيل منه واستهدافه.

٥- أعلن المفكر الغرباوي أن هدف الكتاب (نقد مرجعيات التفكير الديني وإشكاليات العقل التراثي)[1]. فيقع بضوء ما أشرنا إليه سابقا، في مفارقة منهجية، إلا أنها لا تقاطع هدفه التحديثي النهضوي. إذ تارة يعتمد المنهج الفلسفي البنيوي وأحيانا التفكيكي في مراجعته النقدية الصارمة للنص، بغية تصحيح أخطاء الفكر الديني وإعاقاته الحضارية، وقراءته قراءة جديدة معاصرة بوصفهِ نصاً تاريخياً، وليس نصا فلسفيا لغويا مجردا. فلا يستحضر الغرباوي أمامه كشف مسارات الفلسفة المعاصرة ومبادئها وتصحيحها ونقدها في محاكمتها النص تجريدا (لغويا). الفلسفة وقضاياها لا تشكل عند الباحث العربي التاريخي أولوية بحثية قبل أولوية هدفه المنشود وتراتيبه في نقده الفكر التراثي بضمنه الديني بوصفه تاريخاً وتجارب واقعية، ومعرفةً وأساليب حياة متجذرة مجتمعيا فقط، إلا أنها خارج الاهتمام الغربي منذ استبعاد الميتافيزيقا عن مباحث الفلسفة المعاصرة في القرن السابع عشر.

باختصار شديد جدا لا يصبح المنهج أو الأسلوب الفلسفي غاية في ذاته لدى الغرباوي الذي لم يستغن عن الفلسفة منهجاً بحثياً في نقده نص الفكر الديني، وإصلاح يقينياته الزائفة المهيمنة والمكبلة لكل مناحي حياتنا، ومنعها من التقدم إلى أمام بفارق جوهري مهم أنه لم يطوّع حقائق الفكر الديني لمنطق الفلسفة بل عمد إلى العكس.

---

١ - المصدر نفسه، ص ٧.

من الأهمية المشار إليها سريعا: إن الغرباوي الذي وجد الفلسفة المعاصرة اليوم تقوم على محورية دراسة النص (لغويا) تجريديا وأوّليته، من غير موضوع أو محتوى متعّين واقعيا يفرض حضوره، وأهمية معالجته فلسفيا، لا سرديا فكريا، نجد الغرباوي قد لجأ قسرا مضطرا بحكم واقعية النص الديني التاريخية التقديسية، إلى تغليب أولوية مراجعة النص الديني، ونقده تاريخيا، بوصفه أحداثاً واقعية تاريخية، حدثت وشكلت موروثنا الحضاري أو جزءاً مهما منه. اختلط فيه الديني والسياسي والمجتمعي. أي لم يستهوِ الغرباوي تفريغ مبحثه الفكري الديني تاريخيا، فلسفة محورية اللغة الغربية المعاصرة.

ما فعله الغرباوي في مؤلفه بخلاف غيره، وحضور هدف التحديث المجتمعي أمامه، وجد أن مناهج الفلسفة المعاصرة التي يقوم مرتكزها على معطيات واهتمامات هي غيرها عندنا، فاستبعد الفشل الذي كان ينتظره لو أنه اعتمد منهج التجريد الفلسفي القائم على مركزية محاكمة النص لغويا، التي أوقعت عدداً من المفكرين العرب في حبائل المنهج الفلسفي الذي يدور حول المشكلة ولا يقترب من تصحيحها أو حلّها، وعلى حساب إضاعة الموضوع، كي لا يتهموا بالكلاسيكية التنظيرية، فابتلع الافتتان بمناهج الفلسفة الغربية ومناهجها الاستشراقية جهودهم الفكرية، تاركين معالجة المواضيع والإشكاليات التاريخية بتراكمها الإعاقي تضيع خلف ظهورهم، بعد أن أصبح التفلسف المعرفي عندهم غاية بذاتها وليست أداة معرفية لتغيير مشاكل الحياة العربية. إن هذا

النوع من الآلية الفلسفية القائمة على تحليل النص لغويا وتفكيكه، كان يمكن أن يُسقط جهد الغرباوي النقدي التاريخي، وضياعه في حال استهواه المنهج الفلسفي قبل هدف نقد النص موضوعيا وتاريخيا، للخروج بنص متجدد يخدم غرضه البحثي. ولوقع كما أشرنا في فخ مباحث الفلسفة التي تتعامل بتجريد لغوي، وليس مع وقائع تاريخية تفرض علينا معالجتها، بوصفها نصوصاً يحكمها التاريخ والجغرافيا والزمان والمكان. يستشهد الغرباوي بشخوصها ودورهم في صناعة التاريخ التديني الإسلامي، الصالح أو الطالح. وهذه جميعها لا تشكل اليوم اهتماماً فلسفياً ولاسيما دراسة النص الديني والكشف عن تخلفاته وانحرافاته القاتلة بضوء مدارس التفلسف الغربية.

من الملاحظ في دراسة إشكالية التراث العربي الإسلامي مع المعاصرة والحداثة أن غالبية المفكرين العرب الإسلاميين يبتعدون نهائيا عن تدعيم أفكارهم التنظيرية الفكرية باستشهادات يستحضرها الغرباوي من بطون التاريخ الإسلامي بشخوصها المتنفذة، ويضعها بكل جرأة وشجاعة أمام محاكمة النص الحداثي. للكشف حقيقته كما هي تاريخيا، وليس كما تلقيناها تلقينيا بوصفها مسلماتٍ يقينيةً لا تحمل أدنى درجات المناقشة والنقد الموضوعي[1].

---

١ - المصدر نفسه. استدعى الغرباوي في هذا الكتاب شخصيات كثيرة،من الصحابة وغيرهم، إضافة لاستعراض عقائد وطقوس ينسبها لمصادرها بشجاعة وجرأة نقدية كبيرة.

هذه هي المباحث الفلسفية الغربية التي يضيع فيها الموضوع بالركض وراء المنهج الفلسفي الشكلاني. فحتى المدارس والتيارات الفلسفية الغربية المعاصرة بدا عليها التململ للخلاص من شراك اللغة التي اصطادت مباحث الفلسفة، وأدخلت الفلسفة في نفق التجريد اللغوي العدمي والضياع، الذي يستطيع قول كل شيء ولكنه لا يعطيك نتيجة أي شيء. لأن الأسلوب أو المنهج لا يحدد لك ولا يعطيك موضوع البحث، وانما العكس هو الصحيح فالموضوع هو الذي يحدد لك أسلوب معالجته وطريقته.

في النقد التاريخي الوثائقي الواقعي لا يستطيع الباحث الدوران في فلك التجريد فيضيع الموضوع. بينما يتسنى لمثل هذه المراوغة المخاتلة في الدوران التجريدي في المنهج الفلسفي، الذي يهتم بالأسلوب، والصيغة اللغوية الشكلانية، وهو يعالج أموراً لا علاقة لها بالتاريخ. ولا تجد من يسأل الباحث ماذا حقق من جديد في تغيير القناعات الفكرية قبل تغيير واقع الحال.

وإذا كان الغرباوي يلتقي الفلسفة بحسب قوله (يسعى وراء اختراق الممنوع واللامفكر به، إذ جميعها تراكم معرفي لمقاربة الحقيقة وترشيد الوعي ضمن مشاريع هادفة فاعلة)[1]. من هنا جاء انشداد الغرباوي كما ذكرنا إلى محاكمة النص الفكري الديني الإسلامي تحديداً

---

١ - المصدر نفسه، ص٧.

بمنهج تاريخي محدد الهدف، وأسلوب واقعي مباشر في المعالجة وبجرأة استقدامه شخوصا اسلامية تاريخية، أدت دوراً مصيرياً في صناعتها تاريخاً عربياً اسلامياً منحرفاً. وبناء مفاهيم خاطئة كانت أدوات تنفيذها شهوة الحكم. وعمد إلى تسمية أشخاصها وتحميلهم مسؤولية الانحرافات التي عمقت الفجوة المذهبية الاختلافية التي وصلت ومنذ العصر الراشدي إلى حدود التكفير وشن الحروب والاقتتال والدسائس في الدين الواحد.

هذه الانحرافات الخطيرة التي كانت سابقا تسيّجها أسلاك شائكة من الأضاليل السياسية الباطلة، أو خطوط حمراء تستبطن استبعاد الآخر ورميه بالانحراف والكفر، قد تناولها الغرباوي ووضعها تحت حكمة ومنهج القراءة العقلانية الجديدة، بغية الوصول إلى قناعات يقينية لوقائع تاريخية تحمل حراكها التضليلي. وتشكّل موروثا فاعلا يساهم في صنع العقل المستقيل، المغّيب عن فهم واقع الأمور وحقائقها المطمورة، تحت تراكم تداول المخطوء المكتسب، بقدسيته الزائفة، المستمدة لا من أصالته المغيّبة قسرا وحسب، بل من معالجة تراكماته التي ضاع معها كثير من الحقيقة والأصالة، التي لا غنى لنا عنها إلا في إحيائها، لتأخذ دورها الحقيقي في بناء نهضة عربية إسلامية حضارية معاصرة.

٥- أشار المفكر الغرباوي في لمحة سريعة للفيلسوف محمد عابد الجابري، وانحيازه للعقل المغربي ضد العقل المشرقي في مشروعه: نقد العقل العربي، فاضطر جورج طرابيشي - والكلام للغرباوي - إلى

تأليف كتاب (نقد نقد العقل العربي)، أو (رهان مشاريع أنسنة المقدس على إقصاء مطلق الدين بوصفه شرطاً اساساً للنهضة في مجتمَع يستأثر التراث بمعظم مرجعياته العقيدية والثقافية، بل وحتى السياسية في رهانات خاسرة)[1].

لا أريد مناقشة الأستاذ الغرباوي، في رأيه في الجابري، التي عالجها بذكاء، رغم ادانته له في تكملة عبارته رفض (أنسنة المقدس على اقصاء مطلق الدين بوصفه شرطاً اساساً للنهضة) وهو مانجده اهتماما محوريا في فلسفة الجابري وفكره.

الجابري عنده العقل العربي الإسلامي في المغرب هو امتداد النزعة العقلية التي أخذها ابن رشد عن ابن سينا والفارابي والكندي والمعتزلة، وأرساها في المغرب العربي، بوصفها عقلاً نقدياً، أنصار ابن رشد في الأندلس والمغرب من الذين جاؤوا بعده مثل ابن باجة وابن طفيل، الذين اعتمدتهم أوربا دعاةً العقل في الحضارة العربية الإسلامية. واتهم الجابري في انحيازه البحثي هذا أبا حامد الغزالي في مناوئته لابن رشد في الدعوة إلى الصوفية وفي كتابه (تهافت الفلاسفة) التي ناصر به الأشعرية ضد المعتزلة، في معاداتهم العقل الإيماني، بدلا عن الإيمان الصوفي المعتمد على وجدانية القلب قبل العقل. كما أن الجابري برر اتخاذه مثل هذا الموقف الموضوعي المناوئ، ان الغزالي لم

---

١ – المصدر نفس، مقدمة الكتاب، ص ٧.

يُفْتِ في الجهاد إبان الحروب الصليبية، وقد اتخذ جورج طرابيشي موقفه المضاد لما ذهب إليه الجابري في منحى لا يخلو من تأليب مبطن ضد عقلانية المغرب العربي القريب من أوربا بما سأوضحه لاحقاً.

لا اعتقد جازما أن الجابري أراد تحميل عطالة نهضة التاريخ العربي الحضاري، ومنع امتداده التقدمي على عاتق فلاسفة أهل المشرق العربي وتقصيرهم أنهم ورثة التاريخ الصوفي في الدين وقضايا الحياة العربية الإسلامية، ناعتا إياهم بأنهم كانوا بلا (عقل) حضاري، وبغداد ملأت الدنيا وشغلت الناس، ومثلها حاضرة البصرة والكوفة وسامراء. الجابري مفكر وفيلسوف نهضة عربية إسلامية عاشها في ضميره وحملها في فكره وقلبه، تعتمد قواها الذاتية ومخزونها من التراث الحضاري، أما جورج طرابيشي فهو ناقد أدبي متشفّ بمراوحة العرب المسلمين في أماكنهم التاريخية المتخلفة، ولم تستطع جعجعة طرابيشي في (نقد النقد) الذي استهدف الجابري ومشروعه من تقديم أدنى إسهام حقيقي بديلاً يساعد الأمة على نهوضها الحضاري. ومتابعاته النقدية حملت كثيراً جداً من التجّني التيئيسي ليس محاولته الاجهاز على مشروع الجابري النهضوي فقط، وإنما تشفّيه، وهو مقيم مخضرم بباريس على إضاعة العرب مراحل تاريخية زمنية، تسببت في تأخير نهضتهم المنشودة. إضافة إلى تخبطهم في تاريخ من الضلال، الذي يقوده المهيمن الفكري الديني الإسلامي بكل تسمياته ومذاهبه ومخرجاته. وهو ما سأوضحه أكثر لاحقاً لأهميته.

ألتمس العذر من المفكر الغرباوي إرجائي عدم التركيز على عرض بعض أفكاره في كتابه تفصيلا فهو خارج اهتماماتي في الكتابة الدينية ومباحث الاجتهاد الفقهي لها، قبل مغادرتي هذا التوضيح الإشكالي الذي أراده طرابيشي في محاولة النيل من الجابري مفكراً، ومن الجابري صاحبَ مشروع نهضوي عربي، لا ضير في مناقشته وفي إعطاء البديل لما ذهب الجابري له في مؤلفاته، إذا وجدنا فيه تقصيرا أو ضلالة تفكيرية. أستطيع القول إن قراءة طرابيشي للجابري ليست بريئة. لا في شرح حَمولة النص الفكري الديني الإسلامي، ولا في مغالطاته التاريخية الفلسفية والمعرفية التي الصقها بالجابري. كما أهمل طرابيشي دراسة النص الجابري في تشخيص الخطأ فيه وتقديم البديل إن كان يتمكن منه. أراد طرابيشي اغتيال التفكير الجابري وحلمه بمشروع عربي نهضوي يكون الإسلام فيه فاعلاً داخل منظومة عربية حداثية، يمكن للعرب تحقيقها. لقد نقد الجابري الفكر الديني من خلال نقده العقل العربي عامة، وهو بهذا يقاطع أركون في اقتصاره على نقد عقل الفكر الإسلامي، وتناول الجابري نقد العقل العربي من خلال انضواء الدين بوصفه مكّوناً أساساً داخل المنظومة العقلية الحضارية العربية الاسلامية الذي يبدو طرابيشي يرغب في استئصال مبحث الإسلام منها حتى من دلالتها بوصفها عنواناً يهم أمة عربية إسلامية.

كما تناول الجابري كل مفردات الحضارة العربية الإسلامية وتكوينها ومكوناتها، وليس الدين وحده. تناولها بمسؤولية تاريخية حضارية لم تقفز

فوق الواقع، ولا في منهجه النقدي المتزن، بينما بقي طرابيشي ينبش التاريخ الإسلامي بحثا عن كل مواطن الإعاقة والانحراف والتخلف فيه، بصيغة الدفاع عنه وتبيان عجز الجابري عن صياغة مشروعه العربي النهضوي، ما اضطر الجابري إلى اصدار كتابين له (نحن والتراث) والآخر عن (القرآن) قبل وفاته، معتبرا وبتاكيد سليم أن الدين الإسلامي في جوهره وأصالته وقيمه ليس من السهل أبدا ويسيرا على أحد شطبه من تكوين وجود العرب، بوصفهم أمةً. سواء تاريخهم الحضاري ماضياً، أو حاضراً ومستقبلاً، بدعوى تقاطعه مع علمانية الدولة المعاصرة العربية الإسلامية الحديثة المنشودة المرغوب فيها في ابتداء سلوك طريق نهضة جديدة للأمة، تبدأ من رفض الفكر الديني لا في إصلاحه.

الجابري كما قلت صاحب مشروع عربي نهضوي أفنى عمره في الاشتغال عليه، وقال كلمته للتاريخ بضمير نقي وقلب نظيف، ولم يكن ناقداً أدبياً أو ثقافياً مثل طرابيشي الذي لم يتحمّل أية مسؤولية فكرية نهضوية في معاداته الجابري بوصفه مفكراً موسوعياً وليس مشروع الجابري فقط، ولا بد لي مضطراً أن أعرض بعض السمات الفكرية لمشروع الجابري التي سبق وأن ذكرتها في مقال نشرته لي موقع صحيفة المثقف بعنوان (نحن وسؤال الحداثة في الفكر العربي المعاصر، الغرباوي نموذجا) أعرضه هنا في تلخيص شديد ومن ثمَّ أرجو ألّا يكون مخّلا.

الفصل التاسع

مرتكزات مشروع الجابري

١ – قام الجابري بمراجعة نقدية صارمة للمشروع العربي، الذي بدأه جمال عبد الناصر في بداية عقد الخمسينيات من القرن٢٠، وانتهى سياسياً بثورات ماسمي بالربيع العربي ٢٠١١م. تلك الثورات التي قامت، بعد التخلص من الدكتاتورية، بتسليم السلطة في البلدان العربية المحررة من الاستبداد الفردي، إلى منظمات الإرهاب الإسلامي على طبق من ذهب. لتقوم الثانية بتجميد الفكر الديني التنويري بكل وحشية. وإذاقة الشعوب العربية من الظلم ما لم تره عين ولا سمعت به أذن. نفّذته قوى الظلام والتكفير الإرهابي، ولا تزال في بعض الاقطار العربية التي تأمل بإقامة دولة خرافية، تقوم على جماجم الأبرياء وسبي النساء، وترميلهم وتشريد العوائل والأيتام وكثير ممّا لايسعه المقال.

٢– لم يتورط الجابري بنشر غسيل التاريخ العربي المؤلم، خلال مراجعته النقدية لتجارب إيديولوجيا المشروع العربي القومي الفاشل. ليس من خصال الجابري أن يلعب لعبتهم، ويبني لشخصه أمجادا زائفة كغيره، من خلال التلاعب بمشاعر الناس وعواطفهم القومية، لتعميق

نقمة لا تجدي. أو تمجيد حقبة تاريخية مدانة في حكّامها وسياسييها وليس في مبادئها وأهدافها. كان الجابري يرى أبعد مما يرون. هم يعتقدون أنه لا مشروع نهضوياً حقيقياً غيرَ افتعالي ولا استهلاكي، يقوم على نهضة الأمة العربية الإسلامية بمجمل خصوصياتها ومميزاتها الهوياتية، ما لم نعترف أولاً أن تاريخ العرب والمسلمين، رغم وجود مكامن ضعف وعيوب كبيرة ومتعددة فيه، لكن مايزال فيه مكامن قوّة ومخزون حضاري يصلح اعتماده في تحقيق نهضة عربية معاصرة. بينما يحتفظ لجابري برأي آخر. إذ يرى أن المشروع العربي، لا ينته بوصفه طموحاً عربياً شاملاً لتحقيق نهضة عربية رشيدة، ولو بعد أجيال من تاريخ نضوب النفط العربي، وانتهاء التمايز والتفاوت المالي بين أقطار عربية متخمة وأخرى تتضور جوعا، ولا بد أن يعود العرب إلى تحقيق نهضة تقدمية تجمعهم بحكم التاريخ أكثر من فرض تنفيذ رغبة الحكام العرب في مستقبلهم المنظور أو غير المنظور أو عدمها، فلا يشهد تاريخ شعوب العالم موت تطلعات أمة تريد العيش بكرامة إن دفنت أحلامها، بدفن بعض قادتها ممن لم يحسنوا قيادة أمتهم وأضاعوا عليها فرص إقامة نهضة حداثية خاصة بهم، حتى لو انتهى المشروع العربي، بوصفه تجاربَ حكم فاشلة، فهو لا ينتهي كطموح مستقبلي.

٢- دعا الجابري في مشروعه النهضوي للعودة إلى التراث العربي، تحدوه غاية إنصافه، لا زيادة تجريحه وإماتته، لِما يحتويه من ذخائر حيّة، لم تمت ولن تموت، لأنها مميزات تمثل الوجود المادي للأمة قبل

الوجود المعنوي الحضاري لها. وقال الجابري في إحدى عباراته الشهيرة ما معناه: علينا ان نكون أصحاب تراث نملكه ونقوده نحن ونعدّل به ونضيف إليه، وألا نكون كائنات تراثية يسحبها الدين وراءه تابعين في تمجيده والسير خلفه كالعبيد. أراد الجابري تأكيد ان الأمة العربية تمتلك إرثا حضارياً واسعاً جداً، ولا يمكن أن تفقد ثقتها بنفسها. وليس الإسلام عماد ذلك التراث الغني وحده، بل تصل جذوره إلى حضارة وادي الرافدين في العراق، وفي مصر الفرعونية وحضارة سبأ في اليمن ودلمون في البحرين، التي عرفها السومريون بأرض الفردوس. ونحن مع كل هذا وكما يذهب له الغرباوي لاننقد الدين بما هو مجرد تكوين أصيل في تشكيل الوجود العربي، لكننا نركز اهتمامنا بنقد وتخليص الإسلام مما ألحق به بعض المنحرفين من عنف وهمجية وتدمير هي ليست من صنع فكر النص الديني المقدس، وإنما تراكم الانحرافات الموروثة المتجذرة في العقلية والسلوك الفكري الديني المنحرف، ومثلها في الاجتهادات المتزمتة التي عفا عليها الزمن وحان وقت تنظيف الجسم الإسلامي منها. يقول الغرباوي وهو يشخّص الخلط: (فثمة فهم أفقد الدين بُعده الإيجابي، وقدرته على تهذيب النفس وتنمية روح التقوى وكبح دوافع الشر. سببه فهم مبتسر لا يميّز بين القضايا المطلقة والقضايا النسبية في النصوص المقدسة. ولا يميّز بين الدين والفكر الديني، ويصر على تجريد التراث من تاريخيته والإذعان لسلطته وأحكامه.

فمشكلة المشاريع الفكرية عدم تجاوزها ليقينيات مضمرة، يتأثر بها الباحث لا شعوريا)[1].

٣- دعا الجابري في مشروعه النهضوي إلى الاستفادة من مناهج الحداثة الفلسفية الغربية المعاصرة، وكيف استطاعت أوربا الخروج من ظلمات القرون الوسطى، لكن دونما إهمال الحذر، من أن لنا خصوصيات بوصفها أمة عربية إسلامية، ربما يجهلها الغربيون أو يتجاهلونها من منطلق استشراقي. وفي خير تحذير طبقّه الجابري على نفسه قبل غيره هو رفضه الفلسفة البنيوية أن تكون منهجاً فلسفياً ومعرفياً مسعفاً وملائماً لنا في مراجعة تراثنا ونقده، وبقي أمينا حريصاً في كل مؤلفاته على الأصالة العربية الإسلامية بوصفها جوهراً لا يندثر ولا يموت في ضمير العرب ووجدانهم يتوجب عليهم وحدهم إيجاد حلول مشاكلهم الكبيرة التي تعيق وجودهم العصري الحضاري.

جورج طرابيشي ونقد النقد

أرى أن مصطلح نقد النقد في كل مجالات الأدب والمعارف هو وسيلة ارتزاق ثقافي لمن لا يمتلك شيئاً جديداً يغني به أصل النص المنقود برؤى تضيف له تخليقا إبداعيا يثريه. فنقد النقد ليس تفنيدا سلبيا لمقولات نصّية، بحيث لا يجشم الناقد نفسه أكثر من تسجيل

---

١ - المصدر نفسه، ص ٧.

هوامش سطحية غايتها تخطئة بعض فقرات النص الأصل، وسحب سلبيتها التلفيقية على الكل.

وأجد في نقد النقد الطرابيشي مثالا في نقده للمفكر الجابري. وهذا المدخل ينطبق عليه، فهو لا يمتلك شيئاً غير النقد الأدبي، وسوى إعادة قراءة الجابري ومؤلفاته من مصطلح نقد النقد في بناء أمجاد فكرية زائفة لم يفلح النقد الأدبي من تحقيقها له. وهو غائب في محل إقامته باريس متناسياً هموم سوريا ولبنان، ولا نقول هموم الوطن العربي، الذي ربما كان تمذهبه الديني المسيحي يجعله خارج الانتماء الوطني العروبي. بعكس الملايين من المسيحيين الشاميين وغيرهم من الذين وجدوا وطنيتهم العربية الحقيقية في تعايشهم مع جميع أديان الوطن العربي وطوائفه الذين يعدّون أنفسهم أصحاب وطن لهم ماله وعليهم ماعليه سواء مع المسلمين أو الدروز أو غيرهم.

على كل حال، ماقام به طرابيشي في تطفله الكتابي حول مؤلفات الجابري يدخل في باب الاعتياش السلبي. وكتاباته تعليقاً وتجريحاً لاستعراضه قوة ليس في وقتها ولا في مكانها، ولا حتى في أدنى أهدافها الوطنية، وليس لديه أي إضافة فكرية تحسب له في باب النقد على النقد. او التجديد وتقديم الأفضل في نقده مؤلفات الجابري في نقد النقد. وفي مثال كتاب طرابيشي (نقد نقد العقل العربي) صال طرابيشي وجال في استعراضه عضلات النقد الاعتياشي التسوّلي في محاولة لتهديم المشروع النهضوي العربي، الذي وضعه الجابري في مؤلف

واحد من سلسلة مؤلفاته التي تجاوزت خمسين مؤلفاً هو (نقد العقل العربي). تناولت جميعها محوراً مركزياً غاية في الحيوية هو مراجعة مسؤولة وثقافة بحثية موسوعية يعود الفضل لمن ابتكرها وقدمها في مجلدات في التأليف وهو الجابري وليس كتّاب هوامش نقد النقد.

إن الذي يضع على النقد نقداً أولى به أن يعطي البدائل التي تفتح أمام القارئ آفاقا أو رؤى أهملها المؤلف صاحب النص المنقود، وليس صاحب النص الهامشي لناقد نقد الأصل النصّي، ولا يقدم لنا غير معاول الهدم لكل بنيان مهما كان كبيراً أو حتى متواضعاً يضعه المفكرون العرب للخروج من حجرهم الحضاري الغربي الاستشراقي عليهم، وفي محاولة الإفادة من أخطائهم وبناء مرتكزات نهضوية لهم.

أدعو كل مثقف عربي الاطلاع على خرابات معاول الهدم الطرابيشية في مؤلفاته النقدية وكتابته التي هي عبارة عن هوامش استهدافت مشروع الجابري العربي النهضوي. مستفيدا من تسخير كل الامكانات الداعميه من دار نشر الساقي، وداعمين خلف الستار، كانت مهمتهم تجييش كل الإمكانات المتاحة لديهم للنيل من الجابري بوصفه مفكراً، ولمشروعه العربي النهضوي بوصفه مشروعَ تحديث عقلانياً متزناً، بطروحاته التي أجمل الجابري في بحوثه ومؤلفاته ومقالاته وندواته كل مناحي التردي في الحياة العربية، مع إعطاء بدائل حلول للمشاكل التي يطرحها.

الجابري في مجموع إنجازاته الفكرية الموسوعية والفلسفية كان صاحب رسالة تاريخية أراد إيصالها بكل مسؤولية ونظافة ضمير لكل عربي على الأرض العربية، الجابري لم يكن مثل غيره يتفلسف على لا شيء في محاولة استعراض سعة فكره وإلمامه بالتاريخ العربي ودقائق الفلسفة العربية الإسلامية.

من يقرأ مؤلفات طرابيشي وممارسته التهديمية نقد النقد، واستهدافه تقويض وتشويه ما اراد الجابري اقامته وتشييده وتشويهه، يجد أن مرجعية منهج الهجوم على منجز الجابري يتغذي من خلفية استشراقية تبناها وإلى اليوم من المفكرين العرب غير المسلمين عديدين، في دأبهم الذي لا يكل ولا يمل من تأجيجهم عقدة النقص التي تلازمهم من كونهم أقليات دينية مهمّشة، مظلومة وينبري من بينهم المتشفّون بانتكاسات العرب التي سببها نعرة أسيادهم المستعمرين من الفرنسيين والإنكليز وأخيراً الأمريكان وإسرائيل، الذين يجعلونهم يضعون قدماً على الأرض العربية، وأخرى في بلاد المهجر الوطن الأم وخدمة مراميه وأهدافه الخبيثة المريبة بكل راحة ضمير وانتساب يقوم على دعارة الفكر والجسد.

إن أبسط مقارنة بين الرجلين الجابري وطرابيشي، وإن كنت أراها مجحفة بحق الجابري، فإنها ستظهر مدى قوة الجابري وإيمانه وصبره في عدم الرد على جورج طرابيشي خلال ممارسته نقد النقد الاستفزازي له شخصياً بوصفه مفكراً. نقد تجريحي تهكمي غير منصف بحق

فيلسوف مفكر لم يستجد الإقامة السياحية لا في فرنسا ولا في أي بلد عرضت عليه استقباله بتكريم، ورفض كل الجوائز المالية من البلدان العربية وغير العربية وعاش الرجل الفيلسوف ومات ودفن في بلده المغرب العربي، ليكون بذلك من قلة من المفكرين العرب الذين تطابقت حياتهم مع أفكارهم في ضمائرهم، وفي سلوكهم المشرّف المملوء عزة نفس وكرامة، ليس كما فعل جورج وأمثاله من عرب الكُدية والتسوّل في مسح أكتاف من يذكرهم عند ولي نعمة يكرمهم بزاد المهانة، وسلخ معظمهم أكثر من ربع قرن من أعمارهم مغتربين بعيدين يسمعون أخبار بلدانهم وكوارثها كغيرهم من الأجانب. وينظّرون من أجل إنقاذهم من مرابع مواطن سكناهم في بلدان الحضارة الأوربية والأمريكية.

بين محمد أركون وماجد الغرباوي

كنت أشرت في مقالة لي على صحيفة المثقف إلى أن المفكرين محمد أركون وماجد الغراوي يلتقيان في معالجتهما إشكالية الفكر الديني الإسلامي، وتعالقه المعيق المعرقل لحداثة عربية منشودة. وأن الإصلاح الديني يُعدّ المرتكز والمحور الأساس، في إقامة نهضة عربية إسلامية مستدامة أرادها الغرباوي كسلفه الجابري عربية الوجه واليد واللسان.

لا شك في أن الإصلاح الديني كان الشغل الشاغل لرواد مفكري عصر النهضة العربية منذ القرن التاسعَ عشر، تزمناً مع الانبعاث العروبي

القومي للتخلص من هيمنة الاستعمار الكولونيالي الغاشم، وقبله الهيمنة العثمانية التركية على حكم الوطن العربي والنزاع بينهما للسيطرة على ثرواته. من هؤلاء المفكرين الإصلاحيين نذكر: (الأفغاني، محمد عبدة، الكواكبي، الطهطاوي، علي عبد الرازق، رشيد رضا وغيرهم من مفكري مصر لوحدها) يشاركهم مفكرو المغرب والمشرق العربيين بما لا يمكن حصر أعدادهم من القدماء والمحدثين المعاصرين.

وضع أركون بوصفه مفكراً معاصراً أصبعه على الجرح القديم الجديد في وجوب إعطاء الإصلاح الديني الأولوية، كنقطة ارتكاز لانطلاق نهضة عربية حضارية وإسلامية في الوطن العربي. واشتغل أركون بخلاف الجابري على أهمية (نقد العقل الإسلامي) وليس العربي، في تحقيق انبعاث نهضوي. وبحكم الإقامة الدائمة لأركون في باريس على العكس من الجابري طرح أركون مبتدأه في الإصلاح الديني، كما فعلت أوربا في سلسلة بناء نهضتها ومراحله بداية القرن الثامن عشر لتحصد أولى ثمار نهضتها في القرن التاسع عشر بفصل وصاية الكنيسة الكاثوليكية عن التدخل في الحكم والعلم وشؤون الحياة المجتمعية للناس. بمعنى أدق إن أركون أراد تطبيق التفكير الاستشراقي الأوربي وتحديداً الإيطالي- الفرنسي في إرهاصات النزعة الإنسانية التي انطلقت من إيطاليا في القرن الرابع عشر قبل انتقالها إلى فرنسا، ومن ثم دول أوربا قاطبة. وكذلك منهج الاستشراق الفرنسي أيضا بوصفه منهجاً دلالياً تاريخياً متدرجاً مرت به انطلاقة الحضارة

الأوربية في الثورة الفرنسية ١٧٨٩م. في محاولة أركون معالجة إشكالية الفكر التراثي الديني عندنا، وتقاطعه في كل شيء تقريبا مع معطيات العصر والحضارة العالمية.

في هذا التمّفصل طرح الغرباوي مشروعه في نقده الفكر الديني وإصلاحه بوصفه محور ارتكاز لتحقيق انطلاقة تحديثية، لكنه باختلاف بينهما، مرده أن المنهج الاستشراقي لا يقود إلى إصلاح فكري ديني عربي مشبّع بإشكاليات، تدفن معها منهج الاستشراق والهدف الفلسفي، في مقبرة المحاذير العدائية الاجتماعية والفكرية المتجذرة عند العرب نتيجة ممارسات الاستعمار القديم بحقوق شعوبهم الإنسانية المشروعة.

ومن جهة أخرى إن شعار علمنة الحياة العربية برمتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، ليست من السهولة مقارنتها بعلمانية الغرب التي حققتها فرنسا منذ عام ١٩٠٥م. لذا وجد الغرباوي نفسه وكذلك مؤهلاته الفكرية الدينية التخصصية بحثياً وأكاديمياً أقرب إلى اتباع منهج يقوم على (أهل مكة أدرى بشعابها) فنبذ المنهج الاستشراقي في نقده الفكري. وتحاشى اللقاء غير المجدي مع مشروع الجابري القومي العربي، الذي يملي على الغرباوي مشروع الإسلامية الحضارية، من خلال إصلاح الفكر الديني أولاً وقبل كل شيء. بعيداً عن كلٍ من نزعتي القومية العروبية ونزعة التمذهب الديني السياسي إيديولوجيّاً.

من الحقائق التي أرساها أركون بوضوح أن بداية النهضة العربية تنطلق من إنجاز مهمة الإصلاح الديني، كانت موفقة في تشخيصه الداء. ولم يوفق في إيجاد منهجٍ سليمٍ يحقق به غرضه في وصفه الدواء. هذه فرادة فكرية تحسب لأركون لكنه أعدم هدفه الحضاري النهضوي في تمسّكه بمنهج الفلسفة الفرنسية البنيوية والتفكيكية ومصطلحاتها، ومحاولته إلباسها مشكلات الوطن العربية بهدف معالجتها. بل كان أركون مخلصاً ومقتنعاً بضرورة مرور الأمة العربية بنفس المسار التاريخي المتدرج الذي مرت به أوربا، وحققت من ثُمَّ نهضتها الحضارية بداية القرن ١٩. وهو ما أفاد الغرباوي منه كثيراً في تقاطعه مع أركون في هذه النقطة تحديداً.

الغرباوي وتفكيك النص

على العكس من متبنيات عديد من المفكرين العرب المعاصرين الذين يتلقفون منتجات الفلسفة الأوربية لمعالجة النص العربي فلسفيا. وتحديداً تكريسهم ما يطلقون عليه إشكالية أصل النص، وتكريس البنيوية بوصفِها سلطةً ومرجعية، لا قيمة لأية مرجعية إنسانية أو ميتافيزيقية أو تاريخية وغيرها بعدها. بخلاف ذلك جاءت تفكيكية دريدا، مصادرة أصل النص الذي عماده (اللغة). بشكل لا يمتلك أية مرجعية تجعله مصدرا لمحاكمة الأفكار الفلسفية. والجدوى المعرفية لها اعتماد ما تفصح عنه هوامش التقويض النصية.

عمد الغرباوي كي لا تكون منهجيته في تفكيك النص الدينية نتيجته الخروج كما في التفكيكية الفلسفية عن أية حالة ثبات مرجعية يتطلبها البحث لتكريس منطلقات فكرية جديدة واجب اعتمادها. لذا أعلنها صريحة: (لست مع متاهات التفكيك - يقصد في مفهومه الفلسفي- غير أني أسعى لأقصى ممكنات الغوص في أعماق الظواهر الاجتماعية والدينية لإدراك الحقيقة، وتقديم قراءة موضوعية تنأى عن المراكمة فوق ركام الخراب المعرفي ودوامة التخلف)[١].

بجد المتابع لكتابات الغرباوي أن فهمه لتفكيك النص الديني لا يقوم عنده على التزام فلسفي، سوى دأبه المتواصل، وتنقيباته الحفرية في بطون التراث الاسلامي، للوصول إلى حقيقة الأشياء وواقع الحوادث التاريخية. لا كما حدث ووصل إلينا تراثنا العربي الإسلامي. نسخه تاريخية مدرسية مصاغة بعناية، تخلوا من كل صدقية يحكمها العقل النقدي التاريخي، ونقد الفكر الديني الحصيف. بل ولم تصل إلينا كمعظم مواريثنا الحضارية ضمن مسارها الصحيح. وتجنيبها المجتمعات الإسلامية تبعات الأخطاء المتراكمة المبنية على وقائع زائفة، كلفتنا دماء وكوارث إنسانية تاريخية، لم تكن لتحدث لو كانت الشخصيات المسؤولة عنها تاريخياً قد التزمت حقيقة الدين، وليس شهوات الحكم وملذات السلطة، وتغليبها أمور دنياها على موعود دينها.

---

١ - المصدر نفسه، ص٩.

الوجه الآخر الذي ابتغاه الغرباوي في نقده النص الفكري الديني وتفكيكه، ليس الوصول إلى فائض قناعات أخرى بديلة تمتلك مصداقية قبولها العقلاني والمنطقي حاضرا بما يلغي أصل النص بالتعبير الفلسفي، وإنما كان اهتمام الغرباوي منصباً على إعادة حضور جوهر النص الديني بقدسية بكارته الإلهية، قبل تدنيسه وتشويهه بالأكاذيب والدسائس والحيل التي أدت إلى دفن النص في حياتة قبل الممات، وجعلته مجرداً من كل فاعلية أو حضور ديني مجتمعي أخلاقي. أراد الغرباوي إعادة حرمة النص الديني وقدسية المستمدة من وحي النبوة المؤمن بها، إلى حضوره الفاعل في الحياة العربية الإسلامية التي تفهم التدين اليوم إسلامياً قائماً بالاسم، ومغيّبا غائبا في التجنّي عليه في ممارسة العنف والقتل والذبح والسبي والهمجية التي تغذي الاختلالات العقدية والدينية والأخلاقية التي تسوس مجتمعاً قطيعياً لا يفهم من الحياة أكثرمن مفردتي جنة ونار. يقول مثلا في مورد الغلو الذي تناوله في كتابه النص وسؤال الحقيقة: (... ما يهمنا... دراسة دور النصوص في الغلو، التي يشكل فيها الحديث الموضوع والمختلق نسبتها العظمى. الناس ما زالت أسيرة عقائد وأفكار وثقافات لا تعرف عن حقيقتها شيئا، فينبغي كشف الحقائق والمسكوت عنه، والمتستر عليه. وتعرية الزيف والخداع الديني، لنضع الجميع أمام النقد والمراجعة بغية التوفر على رؤية جديدة، وفهم جديد للدين ودور الإنسان في الحياة، للحد من سلطة النص وقدسيته وتعاليه، وفرز

المقدّس عن المدنس، والإلهي عن البشري. فثمة ما يحجب بشرية النصوص والفتاوى والمفاهيم والمصطلحات، حينما تنسب للدين وللشريعة جميعا)[١].

لم يفكك الغرباوي النص الديني من أجل تحقيق غايات فكرية فلسفية تضاف إلى أصل النص، وتكون قراءة جديدة تضيف هوامش بعيدا عن تفكيك النص من أجل كشف اللامعلن المستور فيه. كما أن اختلاف تفكيك النص عنده، يرجع على قدسية النص الديني دون النص الأدبي ولا الإيديولوجي أو الفلسفي التي لا تماهيه رغبة إعدام النص الأصل كما في فلسفة التفكيك اللغوي. بل يعمد تفكيك الغرباوي للنص الديني لتثبيت أصالة النص الديني المقدس بيقينيات عقلانية نظيفة، وليس محاولة تفكيك النص فلسفيا بغية تضييعه في تضاعيف الإلغاءات المتتالية عليه.

إن مشكلة الغرباوي مع الفلسفة في التفكيك، هي أن النص الأدبي أو الفلسفي أو المعرفي يتقبل القراءات الصعبة اللغوية التجريدية التفكيكية التي تتربص به في تعطيل فاعليته التداولية بوصفه مرجعيةً وثوقية ثابتة. بينما لا يلتقي تفكيك النص الديني مع هذا النهج من الإلغاء الفلسفي، لأن الناقد المجتهد فقهيا هنا تحجّمه قدسية النص الديني موضوع البحث أمامه، بأنه نص غير وضعي ولا يطاوع

١ - المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

الإلغاءات المستهدفة له. رغم أن للغرباوي رأياً مغايرا حول مفهوم المقدس، وخصوص النص المقدس: (قدسية النص تعني: ثراءه، وخصوبته التي تستدعي تدبّره جيدا، والتأمل في مداليله ومضمراته، وما يريد قوله. أو ما يقول وما يضمر)[١]. فقداسة النص لا تعني عنده الجمود على ظاهره، بل يبقى النص (كمون تأويلي مفتوح على أفق التاريخ والخبرة الحياتية)، كما يصرّح[٢]. لكن رغم ذلك يراعي قدسية النص، الذي يفرض عليه محدداته ولو فقا لتأويله، لا وفقا لظاهره.

التفكيك في مفهومه العابر للتفلسف تنحصر كل محاولاته ومجهوداته في الوصول إلى قراءة جديدة للنص بعد تخليصه وتشذيبه من جميع المراكمات التي استهدفته بالتغييب ليس اللغوي كما في الفلسفة، بل بتغييب دوره وتعطيله في الفهم العقلاني التديني الصحيح غير المّحرف، وفهم المسيرة التاريخية الدينية بحقائقها المغيّبة وراء نزعات الاجتهاد غير المنزّه عن الأغراض التحريفية الانتفاعية الدنيوية.

مشكلة النص الديني الذي يتأبى على التفكيك الفلسفي تتأصل مرجعيته التي يرفضها التفكيك اللغوي، من طبيعة النص الديني المضمونية، بوصفه مقدساً دينياً، وليس في مشكلته الشكلانية اللغوية

١ - أنظر: الغرباوي، ماجد، المقدس ورهان الأخلاق، مصدر سابق، ص ١٧٢.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٧٦.

فيه. قدسيته المستمدة من معصومية القرآن لغة ومضمونا تحديدا، لا يمكن أن يطاله التفكيك بالتغيير أو التلاعب به لغوياً ولا مضمونياً، بل يطاله التفكيك بمعنى حاجته إلى التحرر من سجن الخرافات والأوهام والانحرافات التي طرأت عليه باسم الحفاظ عليه. ولا أعتقد أن هذه الحقيقة البحثية غابت عن تفكير الغرباوي وفهمه لمعنى التفكيك واختلافه في النص الديني عنه في النص الأدبي أو الفلسفي المنطقي التجريدي السردي. لذا فإن نقد النص الديني ليس سهلاً دون استحضار قدسيته، فهو نص مختلف، يتصف بـ(قدسية) إلهية. لا يمكن للباحث النيل منه. غير أن هذا النص استقطب بمرور الوقت وتوالي العصور، تراكمات من الخرافة والتشويه والانحراف الإيديولوجي القصدي. رافقته وراحت تتنامى وتتكاثر عبر السنين. تخلع على نفسها يقينيات كاذبة. وتقدّم نفسها، باعتبارها نصا دينيا أصيلا. يفرض على المتلقي تقديم الطاعة العمياء. بذلك تحجب النص المقدس الأصيل وتحل محله. جدير بالذكر أن الغرباوي لم يعالج إشكاليات النص الديني من منطلقات فلسفية، تفرض نفسها على النص. فهو لا يحتاجها. لا شكلانيا نقديا ولا مضموناً فلسفياً بوصفه موضوعاً. بقدر حاجة الغرباوي لمعرفة الحقيقة. بوصفه باحثاً نفض جميع المتراكمات الزائفة المغيّبة لأصالة النص الديني في نقد تصحيحي موضوعي يتوخى الحقيقة لا غيرها فقط. ومن هنا يؤكد الغرباوي: (يمكن تناول النص بمعزل عن مؤلفه، لاكتشاف إيحاءاته ومضمراته،

وما يبدي ويخفي من دلالات، وإحالات مرجعية، مهما تعالى. لكن لا يمكن تجاهله عندما يتعلق الأمر بتحديد سلطة النص، لتوقف حقيقتها وفعليتها على معرفة مصدره. وهذا يختلف تبعا لزاوية النظر، ومضمون النص، وما يريد أن يقوله ويؤسس له. فالمؤلف يلعب دورا أساسا في تكوين سلطة النص)[١].

إن تجديد الفكر الديني لدى الغرباوي، لا يقصد خلق تنظير نسقي فكري ديني متجدد، ما لم يعتبر أصل النص الحقيقي وقدسيته مرتكزا محوريا وحيدا في إيجاد تفكير ديني محايث للعصر والحداثة. يقتصر دوره على تحرير المنطلقات الفكرية القدسية الأصيلة من راهنية الحجر عليها بالزائف والخرافي والإيديولوجي. فالفكر التجديدي يتحاشى المساس بأصل النص المقدس. والتجديد عند الغرباوي تجديد في استهداف موروثات التداول الإنسي الذي اتخذ صفة المقدس، لا بل أحيانا أخذ يزاحم التنزيل النصي المعصوم، وعن هذه الحقيقة يقول الغرباوي: (لا يمكن إهمال مصدر النص عندما يؤسس لأي سلطة سياسية أو دينية أو اجتماعية أو معرفية، لأنه هو المعنى حقيقة لتحديد مستواها، فيكون جزءاً من النص، وليس خارجاً عنه، أي يجب قراءة النص بما أنه كلام الله أو قول النبي ليستمد منها حقيقته وسلطته. كما بالنسبة إلى رواية الخلافة في قريش أو الإمامة في قريش. التي غيرت مجرى الأحداث يوم

١ - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة، مصدر سابق، ص ١٥ .

السقيفة، فما كان لها أن تؤثر كل هذا التاثير لولا نسبتها للرسول، لذا قلبت موازين القوى باعتبار قدسية النبي ووجوب طاعته قرآنياً)[1].

والتأكيد الأهم في ذلك على لسان الغرباوي: (أن سلطة النص المؤسسة تتوقف على مصدرها ومدى صلاحية الوثوقية وقدسية ووجوب طاعته)[2].

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٥ - ١٦.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٦.

الفصل العاشر

سلطة التغيير المغيّبة

تهدف قراءة النص الديني عند المفكر الغرباوي، استخلاص الحقيقية. سواء خلال عرضه لآرائه أو خلال بيان منهجه التاريخي. وأجد شخصياً هذه المنهجية قد نجحت في فهم الفكر الديني. بعيدا عن صراعات مجتمعاتنا العربية والإسلامية، التي تتقاذفها الاختلافات الدموية التصفوية جسدياً. أطراف تتحاور دون رغبة جادة للتوصل إلى صيغ تستعيد جوهر الدين في إنسانيته، وتأكيده على قبول الآخر، والتعايش معه سلميا. لأنها، أي تلك الأطراف، تتبنى في حوارها وجهات نظر إجتهادية – مذهبية. وتعتمد على فتوى شرعية صادرة عن رجال الدين، كمسلمات دينية مجتمعية مذهبية. فهي بالنسبة لهم ملزمة، يجب العمل بها، وإن أدت إلى إلغاء قوانين تنظيم الحياة المستمدة من الدستور الوضعي. أو مايعبّر عنه اختصاراً قوانين فصل السلطات الثلاث المدنية. لا نقاش يطال الإفتاء الديني والإجتهاد الذي يمارسه البعض كمسلمة دينية، لأنها مستمدة، كما يعتقدون، من قدسية إلهية معصومة من قبل الخالق نفسه، فلا يمكن أن تكون خاطئة. ولا يجوز نقدها أو تخطئتها، حتى لو صدرت من جهة غير مقدّسة فعلاً.

كنت قد ذكرت سابقا أن الغرباوي يختلف بمسألة جوهرية، لم يتأكد لي أَنْ سبقه إليها غيره. وهي أن الباحث لا يدور حول المشكلة المصيرية التي يتناولها، كما يفعل غيره. بل ينفتح عليها في سياق الفكر الديني نقدا وتفكيكا ومساءلة. ويتوغل بعيدا للكشف عن مضمراتها، وأنساقها المتوارية. بأسلوبه البحثي المعهود. يواصل بحثه وتنقيبه، للكشف عن زيف الحقائق المتداولة، مهما كانت درجة حساسية القضية الفكرية والعقدية التي يتاولها في بحثه، وبجرأة كبيرة، ينآى عنها، من يتحاشون الخوض بمشاكلها، فضلا عن طرح حلول مجدية لها. (يجب كشف المستور وفضح كل شي، والكف عن قداسات مثيولوجية يكتظ بها الخيال الشعبي، التي لم نجن منها سوى التخلف والتراجع)[1]. كل هذا وغيره وراؤه منهج رصين منتج في فهم النص الديني، وفق مرتكزات لا يُخطِئهُا القارئ لدى الغرباوي:

- المنهج الفكري النقدي التاريخي، الذي يحدده موضوع البحث وليس العكس. فغاية البحث، من منطلق الإخلاص للحقيقة الدينية، هي التي تحدد المنهج النقدي، ومن ثم تعرية زيف قضايا الفكر الديني وقدسيتها المنتحلة باسم الدين. وعليه، لا سبق منهجي مذهبي عقائدي يحكم الموضوع أو القضية ونقدها كما يحصل أغلب الأحيان وفي مختلف القضايا في مجالات أخرى. ولا سبق منهجي فلسفي هدفه إبراز القدرات الفكرية الاستشراقية الغربية للكاتب على حساب

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٥٩.

الحقائق التاريخية. وليس هناك قضايا تستمد مشروعيتها من أساليبها المذهبية أو الفلسفية المعاصرة، كما هو حال كتب كثيرة تملأ المكتبات. لا نفع لها سوى أن تكون مراجع منح شهادات جامعية أو حوزات دينية أو أقسام دينية جامعية تطبع وتصطف مع الأصل في كسب العيش والاعتياش على نص الدين. هذا النهج القاصر أصبح مبرراً لعدم تناول الفكر الديني بالنقد البناء. خاصة نقد تراثنا الذي يمتلك خصائصه التاريخية واللغوية وحيثيات بروزها الاجتماعية أو الاقتصادية، من نقطة شروعه في اتباع أسلوب الانحياز المذهبي أو التجريدي الفلسفي بنيوياً ولا تفكيكياً ولا عدمياً الخ.

الملاحظ أن المذهبية في المنهج أو الفلسفة المستمدة استشراقيا أنها تناقش وتبحث عن حلول دينية بوسائل فلسفية تجريدية يحكمها منطق اللغة وليس منطق أهمية حقائق تاريخية الموضوع، بوصفها وقائع مازالت حيوية قادرة على تحريك الحاضر، وترسيم مستقبل وجودي حياتي تعيشه الناس، لكن لا فائدة منها. فاليوم لا نشكو قلة التأليف في قضايا الدين لكننا نشكو من انعدام التطبيق الصحيح على الأرض.

يستطيع أي قارئ إحالة نفسه لاحصائية مئات المؤلفات من المفكرين المحدثين والمعاصرين الذين ورطّوا أنفسهم وقرّاءهم معهم في مراجعة مؤلفات تراثية بمجلدات بمنطق الصح والخطأ المنحاز اجتهادياً، أو كذلك في استعراضه تطويع وقائع التاريخ العربي الإسلامي بمنطق التفلسف المعاصر وأسلوبه التي لا رابط لها مع

قضايا تراثنا الديني أو اللاديني. وأنا متقبّل أي قارئ لتلك المؤلفات ان يقول لي إنها خدمت أو تخدم واقعنا العربي الحضاري البائس باسم مراجعة تصحيح تراثنا وبعثه من جديد. غالبيتها حشو سردي لم يسهم في حل بعض إشكالياته بوصفه موروثاً. وتصفيط كلام متراكم، يعيش على نسخ بعضه الآخر في مجلدات!!

علينا الآن التنبيه على أن خلل موروثنا الجامد المعاصر اليوم ليس سببه وقائع التاريخ المتوارثة الزائفة الكاذبة التي نقلها لنا الموروث التدويني. إنما يكمن الخلل الأكبر في مناهج التوثيق والتدوين، عند مراجعتها لتلك الوقائع، وتورخة الموروث على وفق مصالح وأمزجة وغايات رخيصة، حتى من منظور كتابة التاريخ. وإنما يمتد بنا النقد في وجوب إزاحتها عن الطريق. كل المؤلفات التي جعلت من هرائها التراثي مهزلة بحجة الحصول على الشهادة الجامعية، الذي لا يعرف حاملها المشكوك بتزويرها، كتابة مقالة مقبولة في فقه التاريخ الإسلامي، لا تساوي ثمن الورق والحبر الذي كتبت به. وليس لها قدرة على تغيير قناعة خمسة قراء مضللين.

نفهم أن بناء أمجاد تاريخية زائفة لسياسيين عرب ومسلمين وأدعياء الفكر هو عار. وأمر مفروض بقوة سلطة الحكم الجائر وفساد الدولة بكل مفاصلها. لكنني لا أجد مقبولية أن يكون تاريخنا المعاصر في إشكالياته هو لغاية بناء أمجاد فكرية أو فلسفية فارغة أو غيرهما بذريعة كتابة مؤلفات تتبعها أطاريح جامعية ورقية توضع على رفوف المكتبات

رغم عزوف المثقف الجاد واشمئزازه منها. أصنام لم يُعد أمر عبادتها أو التسليم بها مقبولاً. ولا بقاء تناسلها مرحباً به، مسكوتاً عنه، لأنه وسيلة ارتزاق مالي وخواء ثقافي. فهي بلا فائدة ترتجى في بناء صرح حداثي. هذه الحقيقة تتجنبت طرحها حتى النخب الثقافية أو الفكرية.

مسخرة بطلها أسطورة ملابس عاهل الإمبراطور الجديدة، لا تبوح بها براءة صرخة طالب جامعي لئلا يلبسوه ثوب الجنون الجاهز قبل أن يقبّل اللحى متعهداً أن ألّا يعود لمثلها، ويتناسى الجميع من رعاع الاعتياش باسم الشهادة الجامعية الدينية أو الحوزوية ولا أقصد الشيعية منها فقط بل الجميع بلا استثناء، غباءهم أن الجميع عراة والإمبراطور في ملابسه الأنيقة. وليس المقصود هنا الملك الإمبراطور الواحد كما في الأسطورة وإنما كل جماعة الاعتياش الثقافي الأكاديمي باسم امتلاك شهادة لا قيمة لها أكثر من قيمة غباء حاملها، وإن كانت تحمل رصيدا فهي مجموعة من المؤلفات المستنسخة مئات المرات عن الأصل الجامد غير المتغير الثابت في محافظته على الزيف التداولي.

- يوجد فرق كبير بين مناقشة قضايا حيوية جادة مؤثرة، وهو أمر مطلوب. ومسائل تراثية خاطئة لا قيمة لها، صُححَت أم لا. لأنها لا تساهم في تطوير حياتنا ونحن نعيش محاطين بحضارة القرن ٢١ بكل مشاكلها العصرية. (ثمة من يعتقد بقدرة التراث على وضع حلول مثالية لأزمتنا الحضارية، وهي مغالطة معرفية، فالتراث رهن شرطه التاريخي، وبيئته الثقافية، ومرجعياته وقبلياته القائمة على نهائيات ارتكزت لأسطرة

الرموز، والخرافة واللامعقول، وغيّبت العقل حد الاستسلام لمنطقها، وعدم الاعتراف بمعطيات العلوم والحداثة، وركائز التطور الحضاري، الذي أربك موقفنا وتحدى هويتنا، فبات هو النموذج الذي نطمح له، وهو العدو الذي نخشى تحدياته. وليس أمامنا لتدارك تخلفنا سوى التخلي عن العقل التراثي، المتخم بخرافاته ويقينياته التي لا تستند لأي دليل علمي، سوى أوهام نفسية، وإيمان مرعوب، ترتعد فرائصه، حينما يقارب عقائده. والتمسك بالنقد ومعطيات العلوم والتجربة، والارتكاز للفلسفة والاستدلال المنطقي والعلوم الإنسانية الحديثة في بناء حضارة معاصرة تحترم الإنسان، وتستعيد مركزيته)[1]. وهنا أضيف: ما أهمية تصحيح أخطاء بني أمية ومعاوية مثلاً؟. وما أثر ذلك في تصحيح واقعنا التاريخي الذي يقوم اليوم على المنازعة والإختلاف المذهبي الذي لا يتوقف بمجرد تصحيح خلاف أو خلافات عمرها مئات السنين، لا من أجل اللقاء في تصحيح الأوضاع بل من أجل إدامة الاحتراب المذهبي إلى يوم القيامة. أو احتراب العلماني مع الديني السياسي إلى أجل يريده الحاكم ويرفضه الخالق. ما تأثير مناقشة واقع حال تاريخي لم يعد مهما أن يكون فيه اليوم المعتزلة على حق والأشاعرة على باطل، في وقت مثلا تحضر فيه مسألة مناقشة اهمية توحيد المذاهب الاسلامية وجعلها على الطريق الصحيحة في إختلافاتهم المعاصرة. وليس في إعادة قراءة تاريخهم الموروث في نزاعاتهم التي ورثناها من كتب التراث والتاريخ الذي كتبه مجهول النسب في

١ - المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

صدقية التوثيق أو التدوين ونواياه. هل في حل مثل هذا الاشكال ستنحل قضايا اختلافاتنا المعاصرة؟ أفضل وأكثر قيمة وأهمية لمستقبل أجيال من بعدنا؟، اكتفي بمثل مئات من مشاكل موروثنا التي تحفظها بطون الكتب سواء أكانت منحازة لهذا الطرف أو ذاك لا يتوقف حلها على حل مشاكل تهم حاضرنا ومستقبل أجيالنا وينطبق عليها ان تاريخ الأموات يصنع تاريخ الأحياء. ما أهمية أن تكون أفضلية منهج السلفية أو منهج القومية العروبية أو منهج الماركسية، أو منهج الاستشراق التي ملأت كتبهم ومؤلفاتهم مكتبات ربع الكرة الأرضية وتتداولها أجيال من الطلبة والمثقفين وغيرهم، ولم تسهم في حل إشكالية خلافية واحدة على صعيد الواقع والتطبيق في حياتنا، أو تنقل الأمة العربية خطوة واحدة إلى الأمام. باسم قراءة التراث ونقده وتجديده.

- هناك فرق واضح بين ما يطرحه الغرباوي ويطرحه الآخرون. خاصة جملة قضايا تاريخية متصارع حولها، هي ابنة زمانها وتاريخيتها، غير أننا للأسف الشديد نعيش تداعياتها حتى اليوم. قضايا إشكالية لكن يتوقف على حلها تسوية صراع تاريخي، طالما ارتهن مستقبل حياة أجيالنا. فهي مسائل حيوية من هذا الزاوية بالذات، أي بما أنها قضايا مازالت تؤثر في حياتنا. وهكذا قضايا مهمة وحساسة للباحث الغرباوي منطلقاته في مقاربتها. فمثلا يقول: (إن تكيّف المجتمع مع إرادة الفقيه، والانصياع لتعاليمه، هي الأخطر، مادامت تكرّس روحية الانقياد والتبعية التي اختزلت حرية المجتمع، وأعادة تشكيل وعيه على الضد من قيم المجتمع

المدني الذي نطمح له). وهنا أسأل في تعقيب أراه مفيداً: متى نكف عن مراجعة تلك القضايا التاريخية القديمة الموروثة، الناتجة عن صراعات سياسية تاريخية فرضت علينا؟. ثم هل يجب علينا دائما استحضار تلك القضايا ونحن نعيش إشكاليات دينية وفكرية معاصرة؟. وهل حل كل قضية خلافية في تراثنا القديم كفيلة بأن تجعل كل خطوة في حاضرنا تسير على الطريق التحديثي التقدمي وتخدم مستقبل أجيالنا؟.

إن من يرتهن طاعته للفقيه لا مانع لديه أن يحمّل هارون الرشيد الذي قتل أحد أئمة الشيعة (موسى بن جعفر الصادق)، مسؤولية ما حصل ويحصل لدينا، كما يحصل الآن بالفعل. وهذا مجرد مثال للخلافات المذهبية. بل باتت أبسط من هذه الأمور تحرك الأحياء، وتبعث الموتى من قبورها، لتأجج خلافاتهم. إنه غباء حضاري عندما يطلب نائب بالبرلمان العراقي إزالة نصب الحرية من وسط العاصمة بغداد. وآخر يأمر أتباعه بقص يد تمثال الشاعر أبي نؤاس التي تمسك بكأس الخمرة. وآخر يريد قلع تمثال الشهيد من بغداد أو تمثال أبي جعفر المنصور، أو تمثال عبد الكريم قاسم. هذا تخلّف وغباء حضاري وليس تديّناً يخدم وحدة العراق وأجياله... مسخرة أن يخلو تاريخ أمة من الأمم أو الشعوب من الأخطاء القاتلة التي يعني عندنا الحفاظ على نظافة تاريخنا. ما مدى تخلف المانيا اليوم عندما تحتفظ بتمثال هتلر وتعدِّه رمز مرحلة تاريخية انتهى تأثيرها في الأجيال الحاضرة الألمانية، ومثلها في وجود تمثال ستالين في جورجيا أو موسكو مثلاً، وأمثلة

بالمئات كلها تشير إلى قذارة تاريخ تلك الأمم. هناك من يعتقد أن نظافة تاريخنا يفرض علينا استكمال نظافته بزلة تمثال الرصافي أو أبي جعفر المنصور من بغداد. ونستبدله بتمثال قرد، ليقف تاريخنا العراقي على قدم من ذهب وأخرى من فضة في ادعاءاتنا المسخرة.

- يقول الغرباوي: عندما يرتهن الفرد إرادته للفقيه، ويعتقد أنه الوحيد، الذي يمتلك الحقيقة الدينية، حنيئذٍ يستحيل إصلاح الدين بأدوات مرتهنة لمصادر مرجعيته الدينية والفتاوئية، مادامت تملي على الفرد عدم جواز الأخذ بغيرها، أو من غير مصدرها... إنه تعسّف، وإجراءات لتحنيط الدين، وهذا مكمن الخطر. لا فرق بين مذهب وآخر، كل المذاهب الإسلامية بلا استنثاء. لهذا تتراجع هيبة القانون المدني والقوانين الأخرى المستمدة من الدستور الوضعي، عندما تفقد أهميتها في ضوء فتاوى الفقيه ووصاياه التي يفرضها على مقلديه. وتغدو لا قيمة لها، عندما تكون فتاوى الفقها بديلاً عن القوانين التي تنظّم المجتمع والحياة. تفقد شرعيتها، ما دامت هناك فتاوى تعارضها. إن مصدر شرعية القوانين والأنظمة فتوى الفقيه، وهذا يضعه أمام مسؤولية دينية، لا يريد مخالفتها، فهناك تزييف واضح للوعي الديني.

- كما أن الغرباوي يشخص أخطر أسباب انحراف الدين في قصديته الإيمانية، وبذلك يصعب علينا إصلاحه. يقول: ... لم يكن للفقيه أو رجل الدين أن يحقق مركزيته ويحتكر سلطته لولا تداخل الديني بالسياسي، الذي يجعل من الاجتهادات ووجهات نظر خاصة،

لها فهمها الخاص للنصوص المقدسة وخدمة أغراضها السياسية، يجعلها سلطة فوقية مؤثرة. ويضيف: (ينبغي كشف البعد البشري في السلطة، سواء السلطة الدينية أو السياسية. وتحديد وجهة الصراع منذ نشوبه حتى اليوم، لنتمكن من تفكيك البنية المعرفية للعقل المسلم عامة والعربي خاصة، القائمة على يقينيات تسودها الخرافة واللامعقول، تقدس الرموز الدينية، بدوافع طائفية وأيديولوجية)[١].

- ويقول الغرباوي أيضا: ولكي نجعل من الإصلاح الديني اصطلاحاً حقيقياً، ابن زمانه ومكانه، علينا كشف الزيف وكشف الحقيقة في محاكمة الإفتاء الشرعي المتعدد المذاهب، والمتعدد أيضا بوجهات النظر المختلفة مذهبيا في وجهات النظر الانفرادية ودوافعها. ويؤكد: (وتعرية الزيف والخداع الديني، لنضع الجميع أمام النقد والمراجعة بغية التوفر على رؤية جديدة، وفهم جديد للدين ودور الإنسان في الحياة، للحد من سلطة النص وقدسيته وتعاليه، وفرز المقدّس عن المدنس، والإلهي عن البشري. فثمة ما يحجب بشرية النصوص والفتاوى والمفاهيم والمصطلحات، حينما تنسب للدين وللشريعة جميعا. فالكشف عن الغلو السياسي والغلو السني، يأتي في سياق بيان الحقائق، ومدى علاقة هذا الغلو بالنصوص الدينية)[٢].

---

١ - المصدر نفسه، ص ٨٨.

٢ - المصدر نفسه، ٢٤٩.

الفصل الحادي عشر

تنظيرات الإصلاح الديني
وعقبات التبديل الواقعي

إشكالية منهج معالجة النص الديني الإسلامي يتوزعه تقاطع مرجعية ومركزية قطبين فقط. المقدس الإلهي الثابت (القرآن والحديث المسند منه والسنة النبوية). والنص الديني، الدنيوي، المدني، الوضعي، المتغيّر بحسب مصالح الحكام السياسيين. النص المهيمن على تديّن المجموع المساق بهيستيريا العاطفة الدينية الخرافية. وذلك من خلال انتحال الحديث، والقصص الخرافية، وفتاوى حول مجمل تفاصيل الحياة العربية الإسلامية، التي يحكمها ويمنعها زيفها التدينّي من الوصول إلى أدنى مراتب التحديث في حياة الناس. وبقيت هذه الإشكالية، إشكالية العلاقة بين المقدس والمدنس. الإلهي والبشري، مستحكمة، منذ وفاة النبي محمد. إشكالية بدايتها خلافات السقيفة، ثم بالتدريج فرضت نفسها على الأمة العربية الإسلامية طيلة ألفي عام من بعد تاريخ ظهور الإسلام. وبإلحاح شديد ضاغط على الحياة العربية المعاصرة منذ أكثر من قرنين من العمر التاريخي للأمة العربية الإسلامية المعاصر. حتى بلغ مستوى تقاطع التراث الديني مع المعاصرة والعلمانية، حدا لا يطاق، وكان سبب رئيساً

وراء عدم تقدم الحياة. وهذا يفرض علينا مراجعة النص الديني الزائف الطارئ على حقيقة الدين ونقده.

لكني أستدرك وأقول: إن تاريخاً مدوّناً لا يعطل تقدمنا الحضاري، رغم حمولة وتداعيات سلبياته، أفضل عندي من كتابة مجلدات، تملأ مكتبات تمجد تراثنا بكل سماجة عاطفية، وتكون سببا في تردي أحوالنا، لأسباب سياسية تتباهى بمجد زائف كاذب، لا يهمها إعدام حياة الناس على الأرض في دنياهم. لم يعد اليوم الغني يستغل الفقير ببشاعة، في ظل غياب الضمير وسيادة التفاوت الطبقي، وإنما الأهم من كل هذا الاستغلال الباعث على القلق، عندما تقوم الجامعات بتخريج مئات الألوف من الخريجين في علوم الإنسانيات والتاريخ واختصاصات دينية وغيرها، ورميهم أمام الحكومة يملؤون الشوارع، يطالبونها بتهئية وظائف لهم.

لقد تشعبت المذاهب والمناهج والاجتهادات رغم غياب المعالجة الواقعية، اليقينية، العقلية، القطعية، الحضارية، لحسم هذه الإشكالية الملازمة، كظل ظلامي معرقل، يغذّي وجود الأمة المتخلفة حضاريا. بل تشعبت رغم جهود جبارة كبيرة بذلها مفكرون ومصلحون، على طريق الإصلاح الديني. لقد كان كفاحا مريا لكن وجدت نفسها مغيبّة تماماً وغائبة طيلة قرون، وعاجزة عن ملامسة تنظيراتها الدينية وتوظيفها في إصلاح الواقع المعيشي العياني المتردي في تراجعه المستمر. لأنها تنقد مجلدات من كتب التراث التي عفا عليها الزمن وتراجعها،

في محاولتهم استغفال الناس. هل أن تصحيح تلك المجلدات من قبل العلامة أو الفيلسوف الفلاني كفيل في جعل الأمة العربية الإسلامية تنافس حضارياً كوريا الجنوبية أو اليابان؟. ونترك الصين من الاستشهاد لئلا نتهم بالترويج للبروليتاريا العالمية.

هنا أجد كم كانت عبارة ماركس في منتهى العبقرية والذكاء من قوله متهكّماً على الفلاسفة والمفكرين الذين يريدون تغيير واقع الشعوب بالأفكار العزلاء عن مهمتها الحقيقية في واقع الحياة: (لقد عمد جميع الفلاسفة قبلي إلى تفسير العالم فقط، في حين عملت على تغيير العالم وتبديل الحياة). هذا المنطق نفسه تبنته البراجماتية الواقعية العملية الأمريكية حين نادت لا قيمة حقيقية للأفكار مهما كانت مقنعة ومتسقة نظرياً، مالم تحقق لنا منفعة بالحياة وتقدما في المسار التاريخي الحضاري.

لقد واجه الإصلاح الديني عداء اجتماعيا متخلفا. كان موجها ضد إصلاح الفكر الديني، الذي كانت تحمله النخبة المفكرة على أكتافها. كانت همومها الفكرية الثقافية تثقل كاهلها وحدها فقط. لا يناصرهم سوى قلة قليلة من المثقفين والمتنورين، الذين كانوا منفردين، يتحملون وحدهم نتائج أفكارهم التجديدية بشتى أنواع الاعتقالات والسجون والنفي والتعذيب، وإلصاق التهم التكفيرية والشائنة بهم، لتثبيط هممهم، وإبعاد الناس عنهم، إلا أنهم يزدادون صلابة واصرارا. المفكر الحقيقي ليس ذاك الشخص الذي يرغب في تبديل قناعة مفكر

أو مثقف مثله مهما كانت أهميتها بقدر حاجتنا إلى مفكرين يجهدون في تغيير قناعات المجتمع الضال.

تمّثلت هذه المعضلة الإشكالية بحقيقة صادمة، أن الفكر النخبوي التنظيري وحدَه، حتى على افتراض توفير حرية التعبير له وصواب منطلقاته وصحتها، لا يمكنه تغيّير الواقع، ولا إصلاح الأمة في تدينّها الساذج السطحي، الذي تسوقه عاطفة التدين الوهمي، وليس عقلية واقع التدين النقدي. بل بقي الواقع الاجتماعي المتردي المنحدر باستمرار نحو الجمود والتخلف. مما يجعل الفكر التنظيري عاجزا وعقيما عن إحداث التغيير، وإيقاف تراجعه.

لا اعتقد بوصفي قارئاً ليس أكثر أن قرأت عن سابقة في نهضة الأمم والشعوب، أنها اكتفت نهضتها وقامت بمن كتب لها من الاختصاصيين مؤلفات ورقية نهضوية، من دون وضع كل نظرية أو اجتهاد تحت مجهر التجربة العلمية والتطبيق على الأرض وفي حياة الناس. والتأكد من تحقق النتيجة المطلوبة من خلال النتائج والإحصائيات. لقد أكدت الحقيقة التاريخية قبل وبعدها الدينية، أن الإصلاح الديني على امتداد التاريخ، لم يحمل سيفاً وهو يبشّر بأفكاره التجديدية الإصلاحية. أو حينما يصطدم بجدار التخلف الاجتماعي المستمسك بالقديم الخاطيء. كان لا يملك سوى الكلمة الحجّة والموعظة الحسنة، إلى جانب إِعمال القانون المدني في تنفيذ الإصلاح بدلاً من السيف. ما جعل برنارد شو يصرخ بعبارته الميكافيلية:

«الأنبياء غير المسلحين يخفقون دوما». لذا تشبث دعاة التديّن الزائف بالعنف والسيف والرعب والذبح، والتكفير، وقتل النفس البشرية بدم بارد، وروح شيطانية لا تمتلك الحد الأدنى من الرحمة لمواجهة الفكر التجديدي. وفرض واقع متخلف قديم بقوة السلاح. وبالفعل حصل في ظل حكمهم من الوحشية الدموية مايأنف التاريخ تدوينه، وتأبى الإنسانية المعاصرة تسجيله وتذكير الناس بمآسيه، باسم فرض وصاية الدين على كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس.

ما حصل هو انفصال الاجتهادات الإصلاحية الدينية الحقيقية وانفصاميتها، عن الواقع الميداني المجتمعي الحياتي المتخلف، الذي ظل محتفظا بثباته الرجعي المتردي، ما جعل من التحديث النظري فكراً مدوناً بالكتب متعالقاً بالتضاد مع سلوك الحداثة في الحياة، وانفصالهما واستقلالهما. يشتغلان بالتضاد كلاًّ على حدة. لا تربطهما علاقة جدلية، ولا تأثير متبادل إبان التغيير المستمر نحو الأمام، وهما يقودان الحياة الاجتماعية بمجمل تكويناتها المتخلفة في قبول وتقبّله الصحيح التديني، ليعقبه الصحيح في التقدم الحياتي،كما هو شأن غيرنا من الأمم في تجاربها، التي وجدت ومنذ بداية القرن التاسع عشر، أنه بعد الإصلاح الديني يجب أن يعقبه الإصلاح المدني والديمقراطي. لا تجديد يكتب له النجاح، إلا بعد مروره من تحت قنطرة المهيمن الديني ووصايته على ختم جواز مرور كل نزعة إصلاحية. فوجدنا أن الفكر التنظيري المتقدم تحديثيا على السائد المجتمعي، في اشتمالاته ومحاولاته

لتغيير الواقع والحياة عند عدد قليل من المتنورين، إنه لا تأثير له مطلقا الواقع المتردي، الذي يستمد كل تخلفه في مسارات الحياة المادية والاجتماعية والثقافية العامة، من فكر ديني يقاطع أي فكر تحديثي، يستمد مقوماته من اختلالات الفكر الديني في النص الزائف، المعادي لكل شيء ينطوي على علمانية حداثية، ومتابعيه ومناصريه، في مجتمع يمارس فهمه الديني طقوسيا. يستبعد كل ممارسة وفهم معاصر للحياة. بل نجد العكس أن ظاهرة فهم الحداثة في مجتمعاتنا العربية مقلوبه معكوسة، فهي بدلاً من قابليتها المفترضة للثورة على الواقع المتخلف وتغييره اعتمادا على إصلاحات التنظير الديني للواقع الحياتي المتخلف، بدلاً من ذلك، نجد عوامل الإعاقة وتردي الأوضاع تخدم واقع التراجع، وتغذّية التخلف في توظيفها مكامن الجمود العقدي في الديني. بدءاً من محاربة تحديث النظام التربوي والتعليمي في مجمل مراحله، وصولا إلى منع إشاعة فكر ثقافي تنويري يشكل حصيلة وعي ثقافي ديني متعايش مجتمعيا بكل تياراته الدينية، ويتقبل، أي هذا الفكر، تبديل جميع نواحي التردي بالحياة. وكانت أسباب هذه الانفصامية افتقادها وسائل التغيير الواقعي الميداني اجتماعيا، باستثناء الكتب والمؤلفات. وتكمن وراء هذه الظاهر عوامل سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية. يمكننا التدليل عليها بمثال بسيط: أن الوضع التربوي التعليمي الابتدائي ومراحله التدريسية وصولا إلى التعليم العالي في الجامعات العراقية، كانت قبل اكثر من ٧٠ سنه أفضل مما هو

عليه الحال اليوم في العراق تربوياً، رغم المناهج العلمية الحديثة، وحداثة أساليب وطرائق التدريس. وقس على مثله في كل جوانب الحياة.. إن من الثابت أن مصدر ضخ الفكر التديني التعصبي التكفيري إلى اليوم يصدر في بعضه من الكليات والجامعات التي يقوم عليها أساتذة ينعتون أنفسهم وإلى اليوم حملة شهادات دكتوراه أو بروفيسور يجاهر على تلاميذه وسط قاعات التدريس الجامعية بفكر ديني (إملائي) كما كنا نتلقاه قبل فتح مدارس التعليم الحكومية من قبل أوصياء الاستعمار القديم على مقدراتنا!!!. في هذا المثل لا يكون مرتع تنامي الفكر الديني الرجعي، هو تدني مستوى قبول الوعي التحديثي في الوسط الاجتماعي، وإنما في وسط ما يطلق عليها وسائل تدريس العلم والتنوير وطرائق ومضامين رجعية المواد التي يتلقاها التلميذ والطالب. ونتيجة ذلك لم تبق كفاءة علمية واحدة إلا وهاجرت، وعادت تقدم خدماتها العلمية للبلد الذي يستحقها. وبتركها تفشت الرجعية الدينية في الجامعات، بسبب حملة كتب التدين، الذي يجعلنا نضحي بالدنيا في كل مرارتها وعذاباتها من أجل جنة موعودين بها في السماء.

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال عن مصدر تغذية السلوك الاستهلاكي المجتمعي، والذي يطلق عليه البعض حداثة من نوع استهلاكي، هل حقاً أنها حداثة؟ بدءاً من السيارة إلى آخر تسريحة شعر. مصدّرة لنا أمريكيا وأوربيا، ومن مختلف دول العالم التي تقايضنا تصديرها لنا.

هذه الصرعات التافهة في تقليد استهلاك كل ماهو هابط، لا قيمة حقيقية له. ولا ربط له بالحداثة العصرية التي تنقل الشعوب من وهدة سقوطها المتخلف. نشتري بعملة صعبة تستغلها الدول المصدرة، بما يبقينا على سذاجتنا الفكرية، بأننا لسنا بحاجة إلى بذل مجهود إصلاحي يأتينا على طبق جاهز بحكم أننا نعيش من حولنا في عالم متحضر يتوجب علينا تقليده استهلاكيا بمدفوع الثمن وشرائه، بما ينفعه لا بما ينفعنا أكثر من سلة المهملات. وإلى متى نستطيع شراء قشور الحضارة التي نسهم بخلق أدنى صفحة منها؟

الغرباوي وسلفه في التنظير التجديدي

من خليط هذه الإشكالية المعقدة طرح الغرباوي كما فعل من سبقه، مشروعه النقدي في إصلاح الفكر الديني التنظيري المعتمد على المرتكز المنهجي الغرباوي التالي: (لست مع متاهات التفكيك، غير أني أسعى لأقصى ممكنات الغوص في أعماق الظواهر الاجتماعية والدينية لإدراك الحقيقة، وتقديم قراءة موضوعية، تنأى عن المراكمة فوق ركام الخراب المعرفي ودوامة التخلّف، وأطمح لرؤية مغايرة وفق مبادئ عقلية متحررة من سطوة الخرافة واللامعقول وأوهام الحقيقة، ورهاب النص وقدسيته)[1] التي تديم القراءة الموضوعية العقلية المتحررة من سطوة الخرافة واللامعقول وأوهام الحقيقة، التي أضفاها عليها الفهم

---

١ - المصدر نفسه، ص ٩.

السطحي الجمعي القطيعي للتدين، خلال تلقي الإيمانية الدينية بمنتهى التسليم العفوي. وما رافقه من سلوك خاطئ تضليلي وتجهيلي زائف، يأتي ضخّه الدائم من بعض رجال الدين، ممن يرتبط عندهم المفهوم التضليلي الديني ببرنامج يقف على رأسها توجيهات السياسيين والحكام ومصالحهم، وهذا مارتّب على الغرباوي، نقد مرجعيات الفكر الديني بمنهج عقلاني جريء. إذ يؤكد: (... فالفهم المبتسر للدين أحد الأسباب الرئيسية وراء التخلّف الحضاري، وهذا يتطلب نقد مرجعيات الفكر الديني بمنهج عقلاني جريء)[1].

هذه المعلومة المعقّدة كما أشرنا لمناقشتها في الجزء الأول من قراءتنا كتاب الأستاذ الغرباوي، تحتاج إلى جهود باحثين متخصصين يعملون جاهدين على فك ارتباط التخلف المجتمعي الحياتي على الأرض، عن المسايرة المطردة المعاكسة التي جعلت التنظير الإصلاحي الديني في الكتب والمؤلفات معلقا في السماء، وتعويضا وهميا لما هو مطلوب تنفيذه على مناحي الحياة اليومية التي نعيشها. وإن محاربة التخلف لا تقتصر على السيف وحده، بل بالعلم أوله وآخره. لاحظوا أن أعمال سطوة السيف في أعناق الأبرياء من قبل حثالات التطرف والتكفير والإرهاب في أبشع أشكال الذبح الهمجي الوحشي تسبق الف باء أية معلومة علمية أو حضارية أو تحاورية بالضد من تفكيرهم المتدني إلى أسفل درجات الانحطاط والغباء، وكل ذلك يمارس علينا بقوة السيف على أن ما

---

١ - المصدر نفسه.

يقومون به هو تجديد الدين وبناء دولة الخلافة على منهاج النبّوة. فهل أصبح منهاج النبوة عتيقاً لا يحتاج إلى غير السيف لتجديده؟.

إن التحديث النقدي في الفكر الديني الذي نعيد تداوله العقيم باستمرار، لا يستهدف النص القدسي الثابت، بل يستهدف تنظيف النص القدسي من جميع المتراكمات التحريفية التي أضاعت صدقيته الإلهية داخل النص الديني، فحجب النص الثانوي النص الأول واكتسب قدسيته، هذا ما يفهمه التدين الهمجي. سواء رضا الباري الخالق دنيا وآخرة أم لا. المهم إرضاء حاشية المنتفعين من الدين والمتاجرة باسمه. بمعنى أن الإصلاح الديني التنظيري المزعوم لا يحقق تنظيف حقيقة الدين مما علق به من خرافات وأكاذيب ووحشية وتخلف، ما لم يمارس النقد والمراجعة النقدية، ويقول الحقيقة كاملة.

إن هدف الغرباوي كما أشرنا إليه بسطور سابقة في نقده ودراسته للحقيقة الدينية بمنهج عقلي علمي، هو تخليصها بشكل خاص والنص القدسي بشكل عام من براثن مجاهيل التضليل والتشويه والانحرافات والأكاذيب على التاريخ. إلى جانب خطاب توعوي، لتعرية النفاق الديني الذي أكتسب صفة الحقيقة الدينية. إلا أنها زائفة، رغم قناعة المجموع بها. يقول الغرباوي في تعليقه على إخفاقات الاتجاهات التجديدية: (... لم يحقق أي من هذه الاتجاهات نهضة حضارية رغم مرور ٢٠٠عام، وهذا يعني وجود إشكاليات أعمق. إشكاليات مرتبطة بالثقافة والعقل والمناهج الفكرية وأدوات البحث

العلمي، وكيفية فهمها للدين ودور الإنسان في الحياة. فلكي نحقق نهضة حضارية حقيقية علينا مراجعة مرجعياتنا الفكرية والعقيدية أولا، ومعالجة العطب الحضاري فيها. ووضع الدين في سياقه التاريخي، مع التركيز على قيمه ومبادئه. والاعتراف بمرجعية العقل وقدراته الخلاقة)[1].

هذه النكبة الدينية التضليلية التي يسيّجها نفاق الرعب والخوف في تداوليته القطيعية، والتي عطلت فاعلية العقل، ولم تسمح له بنقد أبسط المظاهر التي يرفضها المنطق الفكري السليم، هو جوهر دعوة الغرباوي في كتابه إن لم أكن مخطئاً، وطرحه الإشكالية التركيبية الزائفة في سوق تضليل القطيع الجمعي. إشكالية يقر بتخطيئها بعد مرارة الواقع التطبيقي لها في العراق وفي سوريا ومصر وليبيا، وفي بلدان عربية وإسلامية أخرى. المجموع المتدين الذي في قرارة نفسه يقر أن هذه الخلافة المزعومة هي والدين الحقيقي السماوي لم ولن يلتقيا أبداً، لكنه يتعامل بها الفرد في نفاقه مع الله، ونفاقه مع ضميره، ونفاقه مع دينه، ونفاقه مع أمثاله في مجتمعه.

السؤال: هل سيصلح الدين بصلاح قلة يفهمون على حقيقته، لكن يعجزون عن إصلاح المجموع وتخليصهم من ضلالهم؟ أم أنهم يتركون الأمور ليحسمها يوم الحساب رب العالمين الذي لو شاء

---

١ – المصدر نفسه، ص ١٣٠.

لجعلهم جميعا أمة واحدة مؤمنين على الصراط المستقيم؟. هل هل تتحقق مرضاة الله بإيمان قلة قليلة تفهم حقيقة الدين وتترك المجموع الضال يسير مسار القطيع؟ هذا التفسير الحربائي ينسف الإقرار بقبوله تكليف الله للأنبياء للقيام بمهامهم الإرشادية وإبطالها.

ليس الغرباوي وحده أمام هذه الإشكالية في تغييب حقيقة الدين باسم التدين الخاطئ، قال كلمته التي كما فعل غيره قبله في محاولة إقناع النخبة، وبذل في مؤلفاته وكتاباته أقصى ما يستطيعه أن تصل حقيقة ما يكتبه إلى الجمع الضال بأسباب يحتاج شرحها مؤلفات من ذوي الاختصاص كل في مجاله لنزيد في رفوف المؤلفات والكتب العاجزة عن تغيير حالنا أو حتى مجرد الرغبة بذلك.

عندما يكتب المفكر الملتزم بدينه ونظافة ضميره ويقول كلمته بما يرضي الله، فهو ليس مسؤولاً عن نتائج تفكيره في هداية الناس من عدمها في مهمة عجز الأنبياء عن تحقيقها (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[1]، (وَمَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْـمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَـهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ)[2].

---

١ - سورة الغاشية، الآية: ٢٢.

٢ - سورة الإسراء: الآية: ٩٧.

الفصل الثاني عشر

بعض معوقات الإصلاح الديني

المطلوب نقد الفكر الديني الإسلامي، وليس الدين بثوابته كما أشرنا إليه، وإنما نقد بعض مناحي الانحراف ومنطلقاته التي تدور حول حقائق الأمور الدينية، وتحجبها وتحجمّها وتمنعها من الحراك التوعوي وإصلاحها. إن نقد الزائف في الدين، هو نقد للجمود والتخلف وتراجع الحياة في جميع مناحيها المتعالقة بالتدين. لذا فإن الإصلاح الديني لا يجدي ولا يكون فاعلا مالم يؤثر في تغيير مجمل مناحي الحياة في السياسة والمجتمع والأخلاق والقيم والاقتصاد وغيرها. المعنية جميعها بتحقيق نقلة إصلاحية من خلال الوصول إلى حقائق الدين، بإنسانيته غير المحدودة. إن تعالق الدين بالحياة عندنا لا يختلف عن تعالق الدين بتدهور الحياة في أوربا العصور الوسطى. مرحلة الإصلاح الديني عندهم أرست بداية نهضة أوربا علمياً وعلمانياً، حتى مرحلة كتابة الدساتير وتشريع قوانين لتنظيم الحياة على أساس من الديمقراطية والعدل والمساواة وكفالة الحريات الشخصية السائدة في تطور مستمر مع ضرورات الحياة ومستجداتها عندهم إلى اليوم.

لقد اكتسبت المخادعة الدينية التزييفية بحسب مقتضيات توظيف الدين بمرور الوقت وتوالي العصور، اكتسبت صفة اليقينيات المسّلم بها جماعيا، استسلاما لمنطقها المنحرف. بمعنى إبطال إعمال العقل في مراجعتها ونقدها لاستجلاء حقيقتها، قبل التسليم بيقينيا زيفها ومقولاتها الخرافية، على نطاق جماهيري مسطّح الفهم النقدي العقلاني. وتمييز حقائقها المغيبة بالدخيل الذي اكتسب صفة القداسة والتبجيل والتسليم بها، بحكم العادة وغلبتها في تبني المتوارث السهل الاستيعاب في تغييب العقل النقدي. (نحن بحاجة ماسة لخطاب ديني يعي دور العقل، ولا يراهن طويلا على سذاجة الناس، لأن التطور الاعلامي سيلاحق رثاثة الوعي، ويعيد للإنسان قدرته على النقد والتلقي الواعي، وحينئذ ستسقط كل الأقنعة المزيفة)[1].

من المقرر المسلّم به أن نتحاشى نقد مرتكزات الدين الثابتة المعروفة، بقدر حاجتنا نقد ظواهر التدين الزائفة، وتعديل مفاهيمها الكاذبة المضللة. وهناك من يرى مصالحه كفرد أو جماعات، هو في بقاء نفاقه على الناس بخلط الأوراق، وإلغاء الفروقات البينية بين الدين القدسي والتدين المصلحي المؤدلج سياسيا.

إن مرتكزات الدين تمتلك خصائص المقدس والأصالة التي تقود إلى إرساء التدين الذي لا يطاله التحريف ولا تنال منه نوايا النفاق،

١ – المصدر نفسه، ص ٤٤.

الذين أرادوا أن يجعلوا من الدين الأصيل في صفائه، والتدين بكل صفاته وممارساته الخرافية المنحرفة، كلاهما شيئاً واحداً، وواسطة مشتركة لتكريس حكم الطاغية السياسي وسفك الدماء بلا وازع أخلاقي ولا مانع من ضمير. هكذا جرى في الماضي ويجري اليوم خلط أصول الدين وحقيقته الإيمانية مع مخطوء التدين في الفكر والممارسة.

واجه الغرباوي كغيره من المفكرين مشكلة الإصلاح الديني، بوصفها وقائع تاريخية، لها ارتباط بالحياة المعاصرة، في ظل تناحر حول امتلاك الحقيقة الدينية لطرف واحد دون غيره. إنه كما ذكرنا في سطور سابقة يريد معالجة كم كبير جدا من المتراكم الخرافي المخطوء الذي أصبح وقائع تاريخية اكتسبت على مر الأيام والعصور كل قطائع التخلف الأسطوري في تداولياته، وأصبح يمثل لنفسه كامل الحقيقة الدينية في زيفها وتداوليتها الساذجة البعيدة عن الايمان الصحيح ويحتكرها. فأصبح لدى عامة الناس أن حقيقة التدين في استمرارية تداولية المخطوء السطحية الساذجة التي لا يتعدى فهمها أن الدين هو في أداء أركان الدين الخمسة وإسقاط فرض التدين وليس إسقاط فروض الدين. وليس مهمّاً أن الدين في جوهره وربما لايعرف البعض، أو لا يريد، أن الدين في جوهره وأصالته ليس ما ابتدعه ويبتدعه رجال الدين، فهم بشر لا يختلفون عن غيرهم من البشر، وأنه يتوجب على المؤمن الحق ان يحاكم كل اجتهاد في عصمة وقدسية الدين، وليس في عصمة وقدسية أفكار أناس مثلنا وفتاواهم. لا يمتلكون أدنى عصمة

أن أفكارهم حقائق دينية صحيحة يجب التسليم بها والانقياد الأعمى لها من دون احتكامها إلى أصول الدين. يجب أن لا (... ننسى أنهم بشر يتأثرون بمصالحهم الشخصية والسياسية والطائفية، وينتمون لثقافة مجتمع مولع بالغيب واللامعقول)[1].

إن الاحترابات الدينية المذهبية بين المسلمين أو الطائفية مع غير المسلمين باتت تحمل صفة القداسة الزائفة التي ليس لها رصيد ديني حقيقي من الكتاب والسنة الصحيحة، وترفضها القيم الأخلاقية. وإنما تستمد مقومات وصايتها على أمور الدين، إما من التسليم القطيعي الذي تحركه العواطف. أو الارتقاء بالآراء الاجتهادية إلى منزلة المقدس المعصوم، الذي لا يُخطئ.

إذن بمختصر العبارة، إن مهمة الإصلاح في الفكر الديني كما فهمته من كتابات الاستاذ الغرباوي، هي إصلاح الوعي الزائف والتدين الخاطئ، المصادر عليه سياسيا بما يخدم جماعة من الناس، تروم ضخ التخدير من خلال نصوص دينية توظف لخدمة أهداف غير دينية. كالحث على الصبر على مكاره الحياة، بدعوى أنها امتحان رباني يجب الصبر عليها، لينال الصابرون جزاءهم يوم الحسب وليس في هذه الدنيا الفانية. جنة عرضها السماوات والأرض!!. وطالما أكدوا في خطابهم الديني على وجوب طاعة أولي الأمر منكم.

---

١ - المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

وحرمة التمرد عليهم، أو الوقوف بالضد منهم ومن سلوكهم، مهما كان حجم فساده في الأرض وخيانته خلال ولايته أمرة المسلمين. فيجب علينا الكشف عن الزيف، وإظهار الحقيقة، يقول الغرباوي بهذا الصدد: (وهذا ما حصل فعلا. وبدأت مرحلة توظيف الديني لخدمة السياسة وأهدافها في تكريس السلطة، فالتبس الديني بالسياسي. لذا ينبغي كشف البعد البشري في السلطة، سواء السلطة الدينية أو السياسية. وتحديد وجهة الصراع منذ نشوبه حتى اليوم، لنتمكن من تفكيك البنية المعرفية للعقل المسلم عامة والعربي خاصة، القائمة على يقينيات تسودها الخرافة واللامعقول، تقدس الرموز الدينية، بدوافع طائفية وأيديولوجية)[١].

الإصلاح الديني بين الممكن والمستحيل

إن مهمة أي مفكر إسلامي منذ بدايات القرن ١٩ إلى يومنا هذا، قد واجهت صعوبات جمة. بل واستحالة تحقق وعي ديني مجدداً، لأن هكذا مهمات كما يشير الغرباوي يتطلب ضرورة إعمال العقل النقدي ووجوب حضوره في كشفه حقائق الأمور الدينية من زيفها، و(يتطلب نقد مرجعيات الفكر الديني بمنهج عقلاني جريء)[٢]. وتعرية الفكر الديني الطارئ وانحرافاته السياسية الخطيرة التي أدت إلى تعطيل

١ - المصدر نفسه، ص٨٨.

٢ - المصدر نفسه، ص ٩.

نهضتنا الحضارية. ويدعو الغرباوي إلى أهمية: نقد مرجعيات الإعاقة أمام علمنة الحياة وديمقراطيتها.

يُذكر أن الغرباوي، قد أصدر سلسلة رواد الإصلاح، حالت الظروف دون استمرارها، بعد صدور ٦ كتب منها، وقد أكدت ورقة تعريف مشروعه الإصلاحي: (روّاد الاصلاح سلسلة كتاب تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح التي نهض بها الروّاد المسلمون، وتطمح الى رقي وعي الفرد والامة الى مستوى المسؤولية الرسالية). كما جاء في غلاف كتب موسوعة متاهات الحقيقة قوله: (من هنا جاءت الأجوبة في هذه الموسوعة الحوارية (متاهات الحقيقة)، تقارع حصون الكهنوت وتحطّم أسيجة تراثية تستغرق الذاكرة، وتطرح أسئلة واستفهامات استفزازية جريئة.. بحثا عن أسباب التخلف، وشروط النهوض، ودور الدين والإنسان في الحياة. فتوغّلت عميقا في بنية الوعي ومقولات العقل الجمعي، واستدعت المهمّش والمستبعد من النصوص والروايات، وكثّفت النقد والمساءلة، وتفكيك المألوف، ورصد المتداول، واستنطقت دلالات الخطاب الديني، بعد تجاوز مسَلَّماته ويقينياته، وسعت إلى تقديم رؤية مغايرة لدور الإنسان في الحياة، في ضوء فهم مختلف للدين، وهدف الخلق. فهناك تواطؤ على هدر الحقيقة لصالح أهداف أيديولوجيات - طائفية. ومذهبية - سياسية). فهو صاحب مشروع نهضوي طموح. ولكن مع كل هذه الاجتهادات

التنويرية فإن المهمة شاقة وصعبة وتنطوي على جملة معيقات ليس سهلا تجاوزها. وذلك:

١- إن المتراكم الفكري التديني المخطوء، قد اكتسب يقينية راسخة، لا تسمح للفكر التنويري التحديثي الكشف بسهولة، عن حقائق الموروث الديني. ولا تسمح بتعرية الدخيل الطارئ المضلل. إنها موروثات تاريخية لا تمثل حقيقة الدين الإنسانية. ولا تخدم منطلقاته في خدمة الإنسان ووجوده على الأرض، غير أن المتراكم الفكري يستر عليها خدمة لأهداف أيديولوجية، مذهبية أو سياسية أو طائفية.

٢- إن أصعب إعاقة يواجهها الفكر الديني هي تحدي رجال الدين، ممن وظفوا اجتهاداتهم لخدمة رجال السياسة، وتكريس سلطة الحاكم الفاسد. أو لخدمة أهداف أيديولوجية وطائفية، وذلك من خلال تزييف الوعي، عبر (خطاب قادر على تزييف الوعي، والتستر على بعض الحقائق، حينما ينجح في تمريرها كبديهيات أو مسلّمات لا تثير شكوك المتلقي، بفعل تأثيرة، وقوة هيمنته على وعيه)[1].

٣- تحذير رجال الدين من المساس بالفكر الديني المسيس، ورمي كل من يرتكب ذلك بالانحراف وربما الكفر، فضلا عن التشكيك بإيمانه وتدينه وإخلاصة. كل ذلك من أجل الحفاظ على قدسية الخطاب الديني. والحفاظ على صورة رسمية للدين، تخدم أهدافهم وتطلعاتهم.

---

١ - المصدر نفسه، ص ٢٢.

حقيقة التجديد

يجب التأكيد هنا: أن الفكر الديني التجديد التنويري، لا يستهدف النص القدسي الثابت، ولا يرتاب فيه وفي قدسيته، بل يستهدف تنظيف النص القدسي من جميع المتراكمات التحريفية، التي أضاعت صدقيته بوصفه فكراً حيوياً يخدم الحقيقة، ويؤكد على مركزية الإنسان، ودوره في الحياة الدنيا. فهو إذا يريد بيان الحقيقة والكشف عن حقيقة المقدس البشري الزائف الذي أخذ مكانة النص المقدس الحقيقي.

إن منهج الغرباوي كما أشرنا له بسطور سابقة في نقده ودراسته الحقيقة الدينية بمنهج عقلي علمي وتدعيم أفكاره في استقدامه مشاهد حية من الماضي بتاريخيتها وشخوصها، لتخليص الحقيقة الدينية والنص القدسي من براثن مجاهيل التضليل والتشويه والانحرافات والأكاذيب. وتعرية النفاق الديني الذي أخذ بحكم تداوليته المجتمعية صفة البديل القار الثابت. ومكمن الخطر حينما يصبح هذا الفكر مصدرا للشرعية الدينية، التي منها يستمد الحاكم الظالم شرعية سلوكه المنحرف. كما فرضت داعش وجوب البيعة لمن يدعي ان حكمه مستمد من روح دولة الخلافة الإسلامية في عهد النبوة وجوهرها.

هذه النكبة التضليلية الدينية التي يسيّجها نفاق الرعب والخوف في تداوليته القطيعية وتعطيل فاعلية العقل في نقد أبسط المظاهر التي يرفضها المنطق الفكري السليم، هي دعوة جوهرية. طرحت

إشكالية تركيبية زائفة. إشكالية يقر بتخطيئها، بعد مرارة الواقع التطبيقي لها في العراق وفي سوريا ومصر وليبيا، وفي بلدان عربية وإسلامية إفريقية أخرى، يقر بتخطيئها المجموع المتدين الذي في قرارة نفسه يقر أن هذه الخلافة المزعومة هي والدين الحقيقي السماوي لا يلتقيان. ولن يلتقيا أبداً، لكنه يتعامل بها المجموع في غالبيته بازدواجية تدينيه، وهو لا يعدو كونه نفاقا. نفاقه مع ضميره. ونفاقه في تدينه، ونفاقه مع أمثاله في مجتمعه.

خلاصة

أشرت في هذه الدراسة إلى أني لم أتناول الجهد الفكري للأستاذ الغرباوي الذي يتضمنه كتابه (النص وسؤال الحقيقة) في محاولة نقدية تناقش تفاصيل مواضيع الكتاب النظرية، التي يقرنها هو في تطبيق ميداني لأفكاره مأخوذ ليس من التاريخ المدون الموروث وحسب، وإنما ربط جهده النقدي في محاججة الوضع المعاصر دينياً فكرياً سياسياً. وإن اطلاعه المتمكن في معالجة إشكاليات دينية تاريخية أو معاصرة يختارها استشهادات لتنظيره الفكري، لا تجعل القارئ للنص يستطيع التعليق عليها بأكثر مما هي تعرض نفسها في الكشف والتوضيح، واستدراج القارئ إلى تفعيل النقد عنده. ومن المتعذر اعطاء كتاب فكري مميز في عرض مقالات لايتسنى لها تغطية عديد من مواضيعه.

من خلال متابعاتي لسلسلة أجوبة الغرباوي على أسئلة الاساتذة الكُتَّاب على صفحات المثقف، خلصت بنتيجة مباشرة انه مع كل الجهود التي بذلها. والإمكانات المتاحة له، التي استخدمها لتدعيم حججه الإقناعية، على طريق نقد الحقيقة الدينية، هي أقصى ما يستطيعه مفكر، لا يمتلك سوى فكره وقلمه وضميره. أنه يقول كلمته للتاريخ ويمضي غير منتظر ما تحققه من نتائج أو لا تحققه، فهي ليست من مهامه فهو لا يمتلك الهدف والوسيلة معاً.

العقبة الثانية التي أشرنا لها: تغييب العقل النقدي الجمعي التديني، الذي يتغاضى عن إقصاء التدين السياسي لحياة التجديد، وتلبية احتياجات الإنسان الضرورية العصرية. وذلك بإرجاع كل الأشياء ومسبباتها إلى أبسط التاويلات التي تعفي العقل من التفكير الصحيح بانها حادثة بقدرة الله ومشيئته، وما على المتدين غير الصبر. وليس إلى ظلم وجبروت السلطة السياسية في غبن حقوق الإنسان. أي أتخذوا من مشيئة الله وإرادته سببا لتغيب العقل النقدي، والتخلي عن مسؤوليتهم اتجاه الناس واتجاه شعوبهم.

إنه من التبسيط المخل أن نتصور ان المتراكم المخطوء الذي يدور في تسييج الحقيقة الدينية، لا يمتلك أدوات مقاومة بوجه تيارات الإصلاح وتحديث الحياة. كما أن نص الفكر الديني المجتهد هو من صنع إنسان لا يمتلك هو وأفكاره أية معصومية قدسية تبطل مساءلته.

وأشرنا أيضا إلى أن الانحراف الفكري ليس أعزلَ من امتلاكه تنظيمات سياسية تدعمه إيديولوجيا، وتضع كل إمكاناتها الحزبية تحت تصرفه، كما أن المجتمع المعبأ بإيديولوجيا التجهيل الممنهج يستهدف أية بادرة إصلاحية بشعارات وممارسات قمعية باسم الوصاية على الدين والحفاظ عليه.

انتهى

المؤلف: علي محمد اليوسف

السيرة الذاتية للباحث والمؤلف الفلسفي

* الباحث الفلسفي المفكر علي محمد اليوسف مواليد مدينة الموصل ١٩٤٤
* عضو المجمع الفلسفي العربي
* عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين ٢٠١١
* عمل في السلك الدبلوماسي لمدة ثلاث سنوات ونصف، معاون مستشار ثقافي بلندن ١٩٨٦ - ١٩٩٠
* عمل في التعليم لمدة ٣١ عاما قبل تقاعده عام ١٩٩٥
* نشر العشرات من البحوث والدراسات والمقالات في معظم الصحف والمجلات العراقية والعربية منذ عام ١٩٧٢
* نشر عدداً من البحوث الفلسفية في مجلة دراسات فلسفية / بيت الحكمة بغداد ومجلة مدارك ومجلة فكر السعودية، كما نشر سلسلة بحوث فلسفية في صحف عربية عديدة.
* ينشر حالياً على المواقع الإلكترونية بعد مقاطعتي النشر بالصحف العراقية:

١- موقع المثقف العربي الإلكتروني في سدني أرشيف ٤٥٣ مادة فلسفية منشورة لي منذ ٦ سنوات.

٢- وموقع كوة الفلسفي في المغرب أرشيف ٣٠٩ مادة فلسفية منشورة وعضو الهيئة الاستشارية للموقع.

٣- موقع الحوار المتمدن ١٧٤ مادة فلسفية منشورة اجمالي القراء وصل ٩٠٨ الفا و٧٧٩ زائرا لحد اليوم.

٤- موقع مجلة المنار الدولية ٣٦ منشورا فلسفيا.

٥- موقع المجلة الثقافية الجزائرية أرشيف يحتوي على أكثر من ٧٦ مادة فلسفية منشورة.

٦- موقع النور في السويد أرشيف ٢٤٧ مادة فلسفية منشورة.

٧- موقع فيلوبريس في المغرب ٩٨ مادة فلسفية منشورة.

٨- موقع أنفاس نت المغربي وَصل قراء مقالاتي الفلسفية الآلاف.

* حزت على تكريم مؤسسة المثقف العربي في سدني بدرع الإبداع للعام ٢٠١٨ بكوني أفضل باحث فلسفي.

* حزت على تكريم موقع كوة المغربي عام ٢٠٢٠

من مؤلفاته:

* كتاب فلسفة الاغتراب في طبعتين الأولى دار الشؤون العامة ببغداد عام ٢٠١١، والثانية طبعة دار الموسوعات العربية في بيروت عام ٢٠١٣. وصدر في طبعة ثالثة عن دار غيداء بالاردن ٢٠٢٢.

* الحداثة إشكالية التوصيل والتلقي، دار الشؤون الثقافية ببغداد عام ٢٠١٣ بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة العربية ودار روافد ببيروت نفس العام بمشاركة دار ابن النديم.

* استقصاءات في الفكر العربي والفلسفة/ دار دجلة بعمان عام ٢٠١٤.

* العولمة بضوء نهاية التاريخ وبروز ظاهرة الإرهاب/ دار دجلة بعمان ٢٠١٥

* جهات أربع مقاربة في وحدة النص/ دار دجلة بعمان ٢٠١٦

* ميتافيزيقا الموت والوجود/ دار مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠١٤.

* إشكالية الثقافي العربي/ مغايرة التجاوز والتجديد/ دار جرير بعمان ٢٠١٥

* آراء ومفاهيم صدر عن دار غيداء ٢٠١٧

* الكلمات ومحمولات المعنى/ دار غيداء ٢٠١٩

* أفكار وشذرات فلسفية / دار غيداء/ ٢٠١٩.

* مناظرات نقدية في الفلسفة والفكر دار غيداء ٢٠٢٠

صدر له

- عن دار غيداء بالأردن الكتب الجديدة بالفلسفة ٢٠٢٠ على التوالي:

١. العقل والوجود في الفكر واللغة.

٢. قضايا فلسفية في المنهج المادي الجدلي

٣. مناظرات نقدية في الفلسفة والفكر

٤. مأزق التحول اللغوي في الفلسفة الغربية المعاصرة

٥. فلسفة الاغتراب طبعة ثالثة

- الدين والفلسفة

- الزمن والفلسفة

- تحت الطبع يصدر قريبا

١ - كتاب فلسفة معاصرة

٢- كتاب ما لم تقله الفلسفة

٣- كتاب قراءة معاصرة في الفلسفة الحديثة

ملاحظة ختامية: وصلت مؤلفاتي الصادرة في بغداد والأردن وبيروت ٣٠ مؤلفا. جرى ذكر بعضها فقط.

ماجد الغرباوي

- مفكر وباحث بالفكر الديني. يسعى من خلال مشروعه إلى: تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، بوصفه شرطاً أساساً لأي نهوض حضاري، يسهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب.
- يشتغل ماجد الغرباوي ضمن مشروعه على موضوعات: فكر النهضة، نقد الفكر الديني، التسامح، العنف، الحركات الإسلامية، المرأة، التنوير،...
- متخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية.
- مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف العربي – سيدني.

http://www.almothaqaf.com

- كان رئيسا لتحرير مجلة التوحيد (الأعداد: ٨٥- ١٠٦).
- أصدر سلسلة رواد الإصلاح، وكان رئيساً لتحريرها.
- كان عضو الهيئة العلمية لكتاب التوحيد.
- شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية.
- مارس التدريس ضمن اختصاصه في المعاهد العلمية لسنوات عدّة.
- حائز على عدد من الجوائز النقدية والتقديرية عن أعماله العلمية.
- كتب عن منجزه الفكري والثقافي والأدبي عدد من النقّاد والباحثين، عرب وأجانب.
- له أكثر من (٣٥) عملاً مطبوعاً، تأليفاً، وتحقيقاً، وحواراً، وترجمة، إضافة إلى عدد كبير من الحوارات والدراسات والبحوث والمقالات في مجلات وصحف ومواقع إلكترونية مختلفة.

صدر له

- متاهات الحقيقة (٩): مقتضيات الحكمة في لتشريع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام، ٢٠٢٤م
- متاهات الحقيقة (٨): المقدّس ورهان الأخلاق، ٢٠٢٢م
- متاهات الحقيقة (٧): تراجيديا العقل التراثي، ٢٠٢١م
- متاهات الحقيقة (٦): المرأة وأفاق النسوية، ٢٠٢١م
- متاهات الحقيقة (٥): تحرير الوعي الديني، ٢٠٢١م
- متاهات الحقيقة (٤): مضمرات العقل الفقهي، ٢٠٢٠م
- متاهات الحقيقة (٣): الفقيه والعقل التراثي، ٢٠٢٠م
- متاهات الحقيقة (٢): مواربات النص، ٢٠٢٠م
- متاهات الحقيقة (١): الهوية والفعل الحضاري، ٢٠١٩م
- النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، ٢٠١٨م
- جدلية السياسة والوعي.. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق، ٢٠١٦م.
- الحركات الإسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي، ٢٠١٥م.
- الشيخ محمد حسين النائيني.. منظّر الحركة الدستورية (طبعتان)، ١٩٩٩م و٢٠١٢م.
- الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، ٢٠١٠م.
- تحديات العنف، ٢٠٠٩م.
- التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات (طبعتان)، ٢٠٠٦م و٢٠٠٨م.
- إشكاليات التجديد (٣ طبعات)، ٢٠٠٠م و٢٠٠١م و٢٠١٦م
- الشيخ المفيد وعلوم الحديث، ١٩٩٢م. (حائز على الجائزة الثانية في المؤتمر)

كتب صدرت عنه

- العقلانية في الفكر المعاصر.. ماجد الغرباوي مجدداً / الباحث الفلسفي ا. علي محمد اليوسف، ٢٠٢٤م.
- الإلهي والبشري والدين التراثي.. رؤية نقدية في مشروع ماجد الغرباوي / د. صالح الطائي، ٢٠٢١م.
- الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري / د. محمود محمد علي، ٢٠٢٠م
- جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي/ د. صالح الرزوق، ٢٠١٦م.

ترجمات لكتبه

- ترجمة كتاب التسامح واللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، بعنوان: مدارا وريشه هاي نامُدارايي.. فرصت هاي هم زيستي اديان وفره نگ ها / ترجمة: مرتضى رحيمي نژاد، بكوشش وپيش گفتار: محمد جعفر امير محلاتي / ٢٠٢١م

كتب حوارات معه

- مدارات حوارية ساخنة.. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني / حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، ٢٠١٧م.
- رهانات السلطة والحكم في العراق.. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي / حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، ٢٠١٧م.
- إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضاري / حوار سلام البهية السماوي مع ماجد الغرباوي، ٢٠١٦م.
- المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع / حوار: د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، ٢٠١٥م.

تحقيقات كتب

- تحقيق كتاب الوجيزة للشيخ البهائي
- تحقيق كتاب نهاية الدراية في علوم الحديث

ترجمة كتب

- ترجمة كتاب الدين والفكر في شراك الاستبداد، ٢٠٠١م.

- ترجمة كتاب الإسلام (حائز على الجائزة الثانية مع جائزة نقدية كبيرة)

- ترجمة كتاب الأصول الرجالية الأربعة

إعداد وتقديم

- الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف، ٢٠١٦م.

- الطيور المهاجرة ورماد العودة، ٢٠١٥م.

- مدارات الكون السردي، أوراق في تجربة فرج ياسين القصصية، ٢٠١٥م

- شوكت الربيعي: حياته.. فنه.. أدبه، ٢٠١٥م.

- مدارات أيديولوجية، ٢٠١١م.

- شوكت الربيعي.. فضاء ابداعي متوهج، ٢٠١١م.

- وفاء عبد الرزاق.. أفق بين التكثيف والتجريب، ٢٠١١م.

- الدكتور عبد الرضا علي.. رحلة متوهجة في فضاء النقد والدرس الاكاديمي/ ٢٠١١م.

- امرأة بين حضارتين للدكتورة انعام الهاشمي، ٢٠١٠م

- تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السماوي، ٢٠١٠م

- البحوث الرجالية في كتاب مجمع الفائدة والبرهان / إعداد وتقديم وتعليق.

- الرجال عند الشيخ المفيد / إعداد وتقديم وتعليق

- الفرق عند الشيخ المفيد / إعداد وتقديم وتعليق

- كتاب رجال الاختصاص / إعداد وتقديم وتعليق

مقالات وبحوث

- نشر عدد كبير من المقالات والبحوث في مجلات وصحف ومواقع إلكترونية مختلفة.